

ديوان المراثي

عبد الرزاق عبد الواحد

ديوان المراثي

شعر

يا شيخ عُربتنا

في رثاء الشاعر أحمد الصايغ النجفي

هذي مَحَطَّاتُنَا، فامشي على مهلٍ
نُلقي على بعضنا تَسَالٍ مُرْتَحِلِ
تحيَّةً ربِّمَا .. وَجَدَا نكابِدُهُ
تَعَلَّةً .. نِظْرَةَ مُبْتَلَّةِ الْمُقَلِ
نقولُ شيئاً، وَنَدري في طَوِيَّتِنَا
أنا عَشْرِنَا، وَأَنَّ القَوْلَ لَمْ يُقَلِ
وأنتِ يا خُطُوَّةً تَخْشَى هَوَاجِسَهَا
هذا طَرِيقُكَ مَهْمَا تُبْطِئِي تَصَلِي!

هذي مَحَطَّاتُنَا .. تَطوي الحياةُ بنا
مَفَازَهَا بين مَخْضُوبٍ وَمُشْتَعِلِ

شَتَّى.. مَدَارَاتُنَا شَتَّى.. مَرَاقُنَا
شَتَّى، نَمُرُّ بِهَا مَرًّا عَلَى عَجَلٍ
مُحَاذِرِينَ الرُّضَا أَنْ يَطْمَئِنَّا بِنَا
كَيْلَا نُقَايِضَ لَفْحَ النَّارِ بِالْبَلَلِ!
حَتَّى إِذَا صَاخَ فِينَا صَائِحٌ شَخَصَتْ
مِنَّا الْعَيُونَ، وَلَاذَ السَّهْلِ بِالْجَبَلِ
وَنَلْتَقِي وَعِنَانٌ مِّنْ أَعْنَتِنَا
أَلْوَتٌ بِهِ فَكَبَا دَوَّامَةٌ الْأَجَلِ
أَوْلَاءِ نَحْنُ عَلَى عَلَاتِنَا سُدْمٌ
مَزْرُوعَةٌ الْعَيْنِ عِنْدَ الْمَعْبَرِ الْجَلَلِ
حَتَّى إِذَا شَقَّ لَمَاعٌ مَفَازَتَهُ
آلَتْ مَنَابِعُ عَيْنِيهِ إِلَى وَشَلِ!

يا شيخِ غُرْبَتِنَا، لولا مُكابِرَةٌ
تُمَيِّتُنَا، لم نُلَاقِ الرِّيحَ بِالأسَلِ
وما ادَّعى مُدَّعِينَا أَنَّهُ بَطَلٌ
لكنَّ يَموتُ على أُسْطُورَةِ البَطْلِ!

يا شيخِ غُرْبَتِنَا، تَبقى تُعَلِّمُنَا
حِياةً مِثْلَكَ مَعنى المِوتِ في القَلْبِ
مَعنى التَّفَرُّدِ .. مَعنى أَن نَمُجَّ دِماً
ولا نَموتُ .. ونَسْتَعصي على الكَلْلِ
هذي مَقادِيرُنَا، نَبقى نُصِرُّفُها
كما جُبَلُنَا، فَتَطوِينَا على عَجَلِ
نَحُنُ البَعِيدونَ إِلاَّ عن مَقاتِلِنَا
في ذِروَةِ اليأسِ أو في ذِروَةِ الأَمَلِ!



تنهضُ بين الحقائق

في رثاء الشاعر حسين مردان

مُتَعَبَاتٌ خُطَاكَ إِلَى الْمَوْتِ

مَهْمُومَةٌ

يَا حَسِينَ بْنَ مَرْدَانَ

لَكِنَّ تَكَاَبُرُ

أَيَقَظَتْ كُلَّ الْمَلَاجِيءِ

فَانهَزَمَتْ

مَنْ يَشَارِكُ مَيِّتًا مَنِيَّتَهُ يَا بْنَ مَرْدَانَ؟

مُنْجَرِدًا وَحَدَاكَ الْآنَ

يُحَشِّرُ هَيْكُلَكَ الضَّخْمُ فِي ضَنْكَةِ الْمَوْتِ حَشْرًا

وَأَنْتَ تُكَابِرُ
كُلُّ الْمِيَاهِ تَعَثَّرَتْ فِيهَا لِتُطْفِئَ خَوْفَكَ
فَاشْتَعَلَّتْ

مَوْحِشًا كُنْتَ
مُسْتَوْحِدًا
تَتَنَازَلُ عَنْ كُلِّ أَرْقَامِكِ الْمُسْتَبَاحَةَ
تُسْقِطُهَا
وَاحِدًا
وَاحِدًا

الطَّرِيقُ إِلَى الصِّفْرِ مُعْجِزَةٌ يَا بَنَ مَرْدَانَ
أَنْ تَمْلِكَ الدَّرَبَ وَحَدَكَ
تَمْتَلِكُ النَّدَمَ الْمَتَفَرِّدَ وَحَدَكَ
أَنْ تَلْتَقِيَ وَالَّذِي خَفَّتْهُ الْعُمُرُ..

تَدْخُلُ دَهْلِيْزَهُ

إِنَّهَا لِحِظَةُ الْكَشْفِ

وَحَدَاكَ تَمْلِكُ أَنْ تَسْمَعَ الْآنَ

وَحَدَاكَ تَمْلِكُ أَنْ تَنْقَرِي

وَوَحَدَاكَ تُبْصِرُ

تَعْلَمُ وَحَدَاكَ إِنْ كَانَ لِلخَطْوِ مُرْتَكِزٌ

حِينَ يَفْتَقِدُ الْمَرْءُ أَقْدَامَهُ

حِينَ يَفْتَقِدُ الْأَرْضَ

تلك خصوصية الموت

تَمْلِكُهَا الْآنَ وَحَدَاكَ

تُحِبُّوْا إِلَيْكَ الْمَجَاهِيلَ

تَنْهَضُ بَيْنَ الْحَقَائِقِ

عُرِيَانِ
مِنْخَلَعًا عَنْكَ كُلُّ ادِّعَائِكَ

إِنَّ الطَّرِيقَ إِلَى الصَّفْرِ مُعْجِزَةٌ
إِنَّهُ الْخَوْفُ

عُمْرَكَ وَطَنَّتْ نَفْسَكَ أَنْ تَأْلَفَ الْخَوْفَ
لَكِنَّ حَجْمَ الَّذِي أَنْتَ فِيهِ
يُحَطِّمُ كُلَّ الْقِيَاسَاتِ
يُسْقِطُ كُلَّ الْمَعَابِرِ حَيْثُ التَّفَتُّ
سَوَى مَعْبَرٍ يَشْرَبُ إِلَى يَوْمٍ كُنْتَ صَغِيرًا

تَلُوحُ بِهِ

حَايِي الْقَدَمِينَ
مُهْدَلَةٌ يَا قَةَ التَّوْبِ مِنْكَ

تَمَرُّ عَلَيْهِ الْوَجُوهُ الَّتِي
وَالسِّنِّينُ الَّتِي
وَالنِّسَاءُ اللُّوَاتِي..

وَتَأْتِي حَسِينَ بْنَ مَرْدَانَ
مُنْسَدِلَ الشَّعْرِ لِلْكَتْفَيْنِ
عَصَاكَ الْغَلِيظَةَ تَضْرِبُ بَيْنَ دِيَالِي وَبَغْدَادِ
تَصْعَدُ مِعْرَاجَ قَوْسِكَ

كَانَتْ عَمُودِيَّةَ الْمُرْتَقَى كُلِّ أَقْوَانِنَا يَا بْنَ مَرْدَانَ
تَذَكَّرُ كَيْفَ تَقَبَّلْنَا الْمَوْتَ؟

أَسْمَاؤُنَا كُلُّهَا ذَاتَ يَوْمٍ عَقَدْنَا عَلَى شَجَرِ الْمَوْتِ أَجْرَاسَهَا
وَانْتَظَرْنَا الرِّيَّاحَ

وكانت تهبُ الرياحُ
تهبُ..

أكنَّا نُبالغُ؟

أم أنّها سنواتُ البطولةِ
ينكسرُ المرءُ من بعدها سلماً
ثمَّ يزحفُ للخوفِ؟

تذكرُ كيف تقبلنا الموت؟؟

ما تصفرُّ الرياحُ
إلاَّ ويسمعُ واحدنا رنةً باسمه
ثمَّ يمضي

ولكنّها سنواتُ الرضا يا بنَ مردان
البشرُ الماءُ

يَعْقُدُ أَجْرَاسَهُ فِي مَهَبَاتِ كُلِّ الرِّيحِ
وَيَخْتَبِيءُ الْجَرَسُ الْمَوْتَ
أَصْغَرُ أَجْرَاسِهِ الْجَرَسُ الْمَوْتُ

أَفْنَيْتَ عُمَرَكَ تَحْكُمُ تَعْلِيْقَهُ
وَتُوسِعُهُ
ثُمَّ تُوسِعُ حِمْلَاقَ عَيْنِكَ فِيهِ
فَتَفْزَعُ..!

ماذا جَنَيْتَ ابْنَ مُرْدَانَ؟
طِفْلاً لَهَوْتَ بِدُمِيَّةِ عُمَرَكَ
طِفْلاً سَأَمْتَ، فَحَطَّمْتَهَا
حُلْماً كَانَ أَنْ تَشْتَرِي بَدْلَهُ
حُلْماً عَشْتِ أَنْ صَرْتَ مُسْتَوْظِناً
حُلْماً أَنْ غَدَوْتَ

ولو مرةً

دائناً لا مديناً

ولكنه يا بن مردان دقّ

ولم تتسحّ بعدُ أكمامُ بدلتك الحلم

دقّ

وما زال دَيْنُكَ

ما حان مَوْعدُ إِيْفائِهِ

دقّ ناقوسُ موتك

يا أيها الإمبراطور^(*)

يا أيُّ هذا الموظَّف من قبل شهرين..



(*) كان يحلو لحسين مردان أن يسمي نفسه دائماً «إمبراطور الأدب».

غَرَقُ الطُّوفَانِ..

شهقةٌ على جثمان العالم العراقي
الكبير الدكتور عبد الجبار عبد الله.

وانسابَ في صَمْتٍ، وفي جَلالٍ
تَلَفَّتْ تَسألُ عن مَنبَعِ الجِبالِ
أي ذُراها؟..

رَفَعَتْ رُؤوسَها الأَهورَ

وابتَسَمَتْ،

رَبَّتْ إلیه في اعتِزازٍ

أَجْهَشَتْ

وظَلَّ يَنسابُ مَهيبَ المَوجِ

في صَمْتٍ

وفي جَلالٍ

مُعَمَّقًا مَجْرَاهُ
مُغَالِبًا مَجْرَاهُ
مُتَّسِعًا فَاضَ عَلَى مَجْرَاهُ
ثُمَّ اسْتَقَرَّ حَيْثُ لَا تَضْطَرِبُ الْمِيَاهُ
وَحَيْثُ لَا تَخْتَلِفُ الْمِيَاهُ..

مَاءٌ وَلَا جَفَافٌ
لَمْ تَثْبُ الْعَيُونَ عَبْرَهُ إِلَى ضِفَافٍ
الْأَرْضُ كُلُّهَا غَدَّتْهُ،
اِحْتَضَنْتْ مَسَارَهُ

تَرَصَّدَتْ مَدَارَهُ
أَعْطَتْهُ
لَمْ يَأْخُذْ،
وَأَعْطَى كُلَّ مَا لَدَيْهِ
لَمْ يَسْبِرُوا قَرَارَهُ

لكنَّما رَوَّاحُ العِمارة..(*)

حِياتُهُ..

كأَيِّما ضِياءَ

أَنجَبَهُ احتِراقَ

أَرْضَعَهُ احتِراقَ

وَهَجَّهُ احتِراقَ

أَطْفأَهُ احتِراقَ

أَغضى

تَعَرَّتْ شَهَقَةً تَمَلأُ عَينِيهِ

تَلوبُ

تَطرقُ الأبوابَ

(*) العِمارة: مدينة في جنوب العراق، ولد فيها عبد الجبار عبد الله، وعاش طفولته وصباه.

تَسْتَصْرِخُ الْوَجُوهَ،

تَسْتَشْهَدُ،

تَبْكِي،

تَذْبِحُ الْأَهْدَابَ

وَأَفَلَتَتْ مَرُوعَةً تَحْمَلُ عَيْنَيْهِ،

تَكَادُ تَشْرَبُ الْعِرَاقَ

تَطْوِي الْمَسَافَاتِ،

تَذُودُ الْمَوْتَ،

تَعْدُو

تَشْرَبُ الْعِرَاقَ

وَانْكَفَأَتْ..

تَدَحْرَجَتْ عَيْنَاهُ رَطْبَتَيْنِ

وَاسْتَقَرَّتَا فِي تَرِيَةِ الْعِرَاقِ..

وَطَاطَأَتْ رُؤُوسَهَا الْأَهْوَارَ

وَأَجْهَشَتْ عَلَى ضِفَائِهَا حَنَاجِرُ الْقَصَبِ

تَأَمَّلَتْهُ وَهُوَ يَنَسَابُ بِلَا شُطَّانٍ
يَدْفُ حَوْلَهُ ضَبَابٌ هَائِلٌ الْأَكْفَانِ
وَتَابَعَتْهُ ..

غَامَ فِي أَحْدَاقِهَا الْأَمْسُ،
تَنَاءَى
تَابَعَتْ أَحْدَاقُهَا الْمَجْرَى
هَمَى الْأَمْسُ رِذَاذًا
عَيْنُهَا مَشْدُودَةٌ عَبَّرَ رِذَاذِ الْأَمْسِ
الْمَجْرَى ضَبَابٌ هَائِلٌ الْأَكْفَانِ يَنَاءَى
انْهَمَرَ الْغَيْثُ عَنيفًا
غَرَقَتْ أَحْدَاقُهَا فِي الْأَمْسِ،
غَامَتْ

تَابَعْتَهُ

تَابَعْتَهُ

تَابَعْتَهُ...هُ

جَدَوْلٌ صَغِيرٌ

يُوشِوشُ الْأَمْوَاجَ فِي شَوَاطِيءِ الْعِمَارِهِ

مُسْتَوْحِداً نَحِيلٌ

مُنْسَرِباً بَيْنَ جُذُورِ الْعُشْبِ وَالنَّخِيلِ

يُؤَنِّسُهُ خَرِيرُهُ..

وَتَابَعْتَهُ

تَابَعْتَهُ

تَابَعْتَهُ..

تَذَكَّرْتُ طِفْلاً يَتِيمًا حَائِلًا فِي الْأَقْدَامِ

عَلَى يَدَيْهَا نَامٌ

يَرْتَعِشُ الشِّتَاءُ كُلَّهُ بِرُكْبَتَيْهِ
يَنْدَسُ فِي عِظَامِهِ
يَجْمَدُ فِي يَدَيْهِ
فِيَنْحِنِي عُوْدًا عَلَى كِتَابِهِ الصَّغِيرِ

وَزَخَّتْ الْأَمْطَارُ..

تَذَكَّرْتُهُ يَا فِعَاً
صَامِتَةً خُطَاهُ
وَاسِعَةً خُطَاهُ
تَذَكَّرْتُ كَمْ شَرِبْتَ عَيْونَهَا خُطَاهُ
حَتَّى غَابَ فِي الضِّيَاءِ
وَحَوْلَهَا حَنَاجِرُ الْقَصَبِ
تَشْهَقُ بِالْدُعَاءِ

وانسابَ نحوها يَنابيعَ من الضياءِ
عادَ إلى وديانها سَماءَ
عادَ إلى شُطانها سَماءَ
عادَ إلى أحضانها بحرأً من الضياءِ
وادعةً خُطاهُ
ثابتةً خُطاهُ
هائلةً خُطاهُ
فَرَعَرَدَتْ كُلُّ شِفاهِ القِصَبِ
واحتَضَنَّتَهُ،
قَبَلَتْ خُطاهُ

وزخَّتْ الأمطارُ
عَنيفَةً
ثمَّ تَلاشى الغيمُ
شَفًّا

اغْرورَقَتْ أَحْدَاقُهَا بِالضَّوِّءِ

ذَابَ الْأَمْسُ

شَفَّ

ابْتَلَعَتْ دَمُوعَهَا الْأَهْوَارَ

ثُمَّ أَفَاقَتْ..

كَانَ يَنْسَابُ بِلَا شُطَّانَ

يَدْفُ حَوْلَهُ ضَبَابٌ هَائِلٌ الْأَكْفَانَ

أَمْوَاجُهُ تَعْتَرُّ بِالضَّبَابِ

أَضْوَاؤُهُ يَشْرِبُهَا الضَّبَابُ

يَنْسَابُ فِي الضَّبَابِ

يَنْسَابُ..

لَا شَيْءَ سِوَى الضَّبَابِ..

حِينَ تَمُرُّ الرِّيحُ فِي شَوَاطِيءِ الْعِمَارَةِ

يَصْعَدُ مِنْ حَنَا جِرِ الْقَصَبِ
يَنْتَالُ مِنْ ذَوَائِبِ النَّخِيلِ
صَوْتُ نِدَاءٍ يُشْبِهُ الْعَوِيلَ:

أَوْحَشَتْ عَبْدَ اللَّهِ
صَوَّحَتْ عَبْدَ اللَّهِ
يَا وَالِدَ الطُّوفَانِ
قَدْ غَرِقَ الطُّوفَانُ
لَا نَمَّتْ عَيْنًا
غَرِقَ الطُّوفَانُ
لَا نَمَّتْ عَبْدَ اللَّهِ
لَا نَمَّتْ عَبْدَ اللَّهِ
لَا نَمَّتْ..



يا وارفاَ الظلِّ

فِي عِبْدِ الْجِبَارِ عَبْدِ اللَّهِ

عَامَ ١٩٩٣

ذَكَرَاكَ، وَاللَّيْلُ، وَالْأَمْطَارُ، وَالسُّحْبُ
وَصَوْتُ مِزْرَابٍ جَارِي وَهُوَ يَنْتَحِبُ
وَوَحْشَةُ الْمَوْتِ، وَالنَّجْوَى، وَمَكْتَبَتِي
وَأَنْتَ مِثْلَ أَنْسِرَابِ النُّورِ تَتَسَرَّبُ
كَأَنْمَا مِنْ ضَمِيرِ الْغَيْبِ تَسْأَلُنِي
مَاذَا سَتَتَفَعَّلُكَ الْأُورَاقُ وَالْكَتُبُ!؟

لَا بَأْسَ .. أَدْرِي بِأَنْيِّ بِالْغُ أَجَلِي
أَبَا سِنَانٍ .. وَأَنْيِّ مُوَحَّشٌ، تَعِبُ

مُسْتَتْرَفٌ.. وشراييني، وأوردتي
دَمِي بِهَا كَالْتِهَابِ الْجَمْرِ يَلْتَهَبُ
أَدْرِي، وَأَدْرِي بِأَنَّ الْعُمَرَ مِنْ قَلَمِي
مِثْلَ الْمِدَادِ عَلَى الْقَرِطَاسِ يَنْسَكِبُ
وَأَنَّ قَلْبِي مِنْ وَجْدٍ، وَمِنْ قَلْقٍ
وَجَيْبَ جَنَحِ الْقَطَا فِي أَضْغِي يَجِبُ!
هَلْ عَشْتِ إِلَّا لِهَذَا؟.. أَوْ لِأَنْبَلٍ مِنْ
هَذَا؟ فَأَيُّ اضْطِرَابٍ كُنْتَ تَضْطَرِبُ؟!
أَنْتَ الَّذِي كُنْتَ عُوْدًا لَا وَقَاءَ لَهُ
مِثْلَ السَّنَابِلِ، إِلَّا حَبُّهُ الرِّطْبُ!
أَعْطَى لَهَا عُمُرَهُ، حَتَّى إِذَا نَضَجَتْ
أَلْوَتْ بِهَا الرِّيحُ، وَالتَّائَتْ بِهَا التُّرْبُ!

طُوبَاكَ.. فِي كُلِّ أَرْضٍ مِنْكَ سُنْبُلَةٌ
وَنَجْمَةٌ.. وَنُهَيْرٌ مِائَةٌ عَذْبُ!

يَا وَارِفَ الظُّلِّ.. يَا نَبْعاً جَدَاوِلُهُ
قَلْبُ العِمَارَةِ فِي شُطَانِهَا يَثْبُ!

نَيْفٌ وَعِشْرُونَ مَرَّتْ وَهِيَ وَالهَةَ
يَيْكِي بِأَهْوَارِهَا البَرْدِيُّ والقَصَبُ!

اللَّهُ.. فِي لِحْظَةٍ كَيْفَ انطوى وَهَوَى
العِلْمُ، وَالحِلْمُ، وَالأَخْلَاقُ، وَالأَدَبُ؟!

وَكَيفَ أَهْلُكَ مَا مَادَتْ مَنَازِلُهُمْ
كَأَنَّهُمْ مَا رَأَوْا هَوْلًا، وَلَا نُكْبُوا

وَكَيفَ لَلآنَ لَا يَدْرُونَ عَنكَ سَوَى
أَنَّ ابْنَهُمْ عَالِمٌ، قَبْلَ اسْمِهِ لُقَبُ!

أَمَّا النُّبُوءَةُ.. أَمَّا مَا نَذَرْتَ لَهُ
شَتَاتَ عُمْرِكَ حَتَّى شَفَّكَ الْعَطْبُ
شَفًّا.. وَحَتَّى نَشَرْتَ الرُّوحَ أَشْرَعَةً
وَاللَّيْلَ بَحْرًا، وَرَكِبَ المَوْتَ يَقْتَرِبُ
وَأَنْتَ تَخْتَصِرُ الأَبْعَادَ هَائِلَةً
وَقَدْ تَلَاقَتْ عَلَى رَاحَتِكَ الشُّهُبُ
فَمَا لَهُمْ حِصَّةٌ فِيهِ، فَعِنْدَهُمْ
لَا يَحْكُمُ العِلْمُ لَكِنْ يَحْكُمُ الذَّهَبُ!
وَعِنْدَهُمْ لَيْسَ لِلأَحْلَامِ مِنْ سَبَبٍ
لَكِنْ لِأَصْغَرِ رِيحٍ عِنْدَهُمْ سَبَبٌ!
وَأَنْتَ تَحْلَمُ.. أَتَرَعَتِ الدُّنَا حُلْمًا
حَتَّى لَكَادَتْ تَهَاوَى دُونَكَ الحُجُبُ

وجاءكَ الموتُ .. ها أهْلوكَ .. لا فُجِعُوا
ولا اسْتَفْزُوا، ولا رِيعُوا، ولا رُعبُوا
يُعَلِّونَ بِهَذَا الحَفْلِ أَنْفُسَهُمْ
أَنْ قَدَّمُوا لَكَ بِاسْمِ النَّاسِ مَا يَجِبُ
وَأَنْتَ تَدْرِي بِأَنَّ الدَّارَ تَسْكُنُهَا
بِيعَتٌ، وَقَبْرُكَ هَذَا .. مُوحِشٌ، خَرِبٌ
وَأَنَّ كُلَّ الَّذِي أَبْدَعْتَ مِنْ غُرْرِ
لِلْعِلْمِ، تَحْتَ العُبَارِ الآنَ يَحْتَجِبُ
قُلْ لِي إِذْنِ سَيِّدِي .. هَلْ أَنْتَ مَيِّتُهُمْ
أَمْ الَّذِينَ تُوَفُّوا أَهْلُكَ النُّجُبُ؟!
وَهَلْ كَبُرْتَ بِهِمْ؟ .. أَمْ هُمْ كَعَهْدِهِمْ
كَبِيرُهُمْ بَيْنَهُمْ عُرْيَانٌ مُسْتَلَبٌ!؟

أَيَعْلَمُونَ بَأْنَ التُّرْبَ تَسْكُنُهَا
يَوْمًا لَهَا يَتَمَنَّى النِّجْمُ يَنْتَسِبُ؟!
وَأَنَّ كُلَّ نَهَارٍ ضَيَّعُوكَ بِهِ
أَوْلَادُهُمْ عَنْهُ يَوْمًا مَا سَتَحْتَرِبُ
وَأَنَّهُمْ.. بَيْنَمَا تَبْقَى تُضِيءُ لَهُمْ
سَيِّذَهُبُونَ.. فَلَا نَبْعُ، وَلَا غَرَبُ
لَا مَا لَهُمْ.. لَا مَتَاعٌ يَزِدُهُونَ بِهِ
يَبْقَى.. وَلَكِنْ سَيَبْقَى وَجْهَكَ الْحَدْبُ!

يَا جَذْوَةَ الْعِلْمِ.. يَا أَعْلَى مَرَاتِبِهِ
إِذَا اسْتُفْزِزْتَ بِهِ الْأَلْقَابُ وَالرُّتَبُ
هَلْ أَنْصَفْتِكَ مَرَاقِي الْعِلْمِ كُنْتَ لَهَا
مُؤَسَّسًا، عُمُرُهُ يُعْطَى وَيَحْتَسِبُ!؟

أم أنّها أنكرت باني مدارجها
ومَن قضى عمره فيهنَّ يغتربُ؟

إذن فَمَن ذا سيُعطي الأرضَ رونقها
أبا سِنانٍ إذا ما أهلها ذهبوا؟

ومَن يعيدُ إلى الدنيا مروءتها
إذا بنوها على آبائهم شغبوا؟

وكيف نُمسِكُ بالميزانِ نرفعهُ
إن لم نُكُنْ بنقابِ الحقِّ ننتقبُ؟

إذا كَفَرْتَ بثدي كنتَ ترضعهُ
فأيُّ شيءٍ عليه لستَ تنقلبُ؟!

أبا سِنانٍ أراني موقظاً وجعي
وما لي الآنَ في إيقاظه أربُ

لَكِنَّهُ لِمَصَابٍ أَنْتَ تَعْرِفُهُ
يَجْرِي، وَنَحْنُ كِلَانَا فِيهِ نَصْطَحِبُ

أَنَا بِهِ مَحْضُ إِنْسَانٍ .. وَكُنْتُ بِهِ
قَدَيْسَ عَصْرِ تَلَاقَتْ حَوْلَهُ النُّوبُ!

عُذْرًا إِذَا كُنْتُ أُدْنِي مِنْكَ مَجْمَرْتِي
أَبَا سِنَانٍ، وَأَنْتَ الْهَادِيءُ الْعَذِبُ

أَنْتَ الَّذِي مَا دَرَى يَوْمًا مُحَدِّثُهُ
عَنْ هَمِّهِ، أَيُّ جُرْحٍ مِنْهُ يَقْتَرِبُ

وَأَنَّ هَذَا الَّذِي يُصْفِي بِلَا ضَجَرٍ
إِلَيْهِ، أَوْجَاعُهُ أُمَّ لَّهُ وَأَبُ!

فَإِنْ أَكُنَّ هَجْتُ جُرْحِي فَهُوَ مِنْكَ ذِمًّا
أَلَيْسَ يَجْمَعُنَا مِنْ جُرْحِنَا نَسَبُ؟!

أَنِعِمَّ مَسَاءً، وَطِيبَ نَفْسًا بِأَفْرُخِنَا
أَبَا سِنَانٍ.. لَقَدْ غَطَّاهُمُ الزَّغَبُ
وَنَسَأَلُ اللَّهَ، إِنْ طَالَتْ قَوَادِمُهُمْ
وَأَبْعَدَتْ عَنْهُمْ أَهْوَالَهَا الرَّيْبُ
أَنْ يَهْتَدُوا لِمَسَارِ النُّورِ سِرَّتَ بِهِ
وَكُلُّهُمْ بِشُعَاعٍ مِنْكَ يَنْجَذِبُ!



**يا أيُّها القديس
يحمل صمته حملَ الأذانِ!**

في ذكرى عبد الجبار عبد الله

عام ١٩٩٥

هَذَا أَوَانُكَ لَا أَوَانِي وَرِهَانُ مَجْدِكَ لَا رِهَانِي
وَصَدَاكَ أَنْتَ الْمَالِيُّ الدُّنْيَا .. فَمَا جَدَوِي بَيَانِي؟
مَرْمَاكَ أَوْسَعُ مِنْ يَدِي وَثَرَاكَ أَبْلَغُ مِنْ لِسَانِي
وَسَنَّاكَ أَبْعَدُ فِي الْمَرْوَةِ أَنْ أَرَاهُ، وَأَنْ يَرَانِي
وَحَضْرُكَ الْبَاقِي .. وَكُلُّ حُضُورٍ مَنْ وَكَدُوكَ فَانِي!
يَا مَنْ لَهُ كُلُّ الْمَكَانِ وَلَيْسَ يَمْلِكُ مِنْ مَكَانِي!

هذا أوانك لا أواني ودنان عرسك لا دناني
فإذا أتيتك زائراً فاعذر رفيف هوى دعاني
في كل عام يشرب دمي إليك أبا سنان
لي مهرجان فيك يبدأ قبل بدء المهرجان!
ويهب بي مرقاك .. أصعده، فيعثر بي عناني
مبهورة أنفاسه ما بين زهو واقتان

يا أيها القديس يحمل صمته حمل الأذان!
وتدور عمق الكون أنجمه .. ونحسبها دواني!
وأقول قد ألقاك .. قد يرضى زمانك عن زماني!
فأراك .. ألمح مقلتيك على كتابك تحلمان!

وأرى لجسمك وهو مثل الطيف .. يعبر في ثواني
فأحس كل مروءة الـ دنيا تغلغل في كياني!
وأحس ضوئك وهو يملؤني، ويمسح من دخاني!
ويعيد لي صفوي .. ويمنحني شجاعة أن أعاني!

عذراً اليراع أبا سنانٍ إن تلجج في بناني
أنا كلما لامست عالمك الوديع بعنفواني
أحسست أن علي أن أغضي، وأخلع صولجاني!
فأنا أمام سنى كأن الله شاء به امتحاني
وأمام خلق ما رأيت له بهذي الناس ثاني
يا أنبل الدنيا، وأحلمها .. ويا ثبت الجنان

إِنِّي رَأَيْتُكَ وَالْحَتُوفُ مِنْ السَّنَنِ إِلَى السَّنَنِ!
جَمًّا هَدُوءُكَ وَالْفَحُولُ يَوُودُهَا جَذَبُ الْعِرَانِ!
فِي قَلْبِ عَاصِفَةٍ وَأَنْتَ عَلَى شُحُوبِكَ، كَالِيْمَانِي!
تُحْصِي مَوَاقِعَ أَصْدِقَائِكَ بِالذَّقَاتِقِ وَالثَّنَوَانِي!
مِنْ أَيِّ مَائِكَ وَهُوَ ثَرٌّ أَسْتَزِيدُ أَبَا سِنَانِ؟
سَأَنْتُ قَافِيَتِي.. عَسَانِي فِيكَ أَطْمَشُهَا عَسَانِي! (*)
فَأَقُولُ جِئْتُ مُحَاوِلًا أَكْسُوهُ.. هَا هُوَ قَدْ كَسَانِي!
قَالُوا.. وَأَنْتَ تَمُوتُ.. كَانَتْ مُقَلَّتَاكَ تُرْفِرِفَانِ
كَحَمَامَتَيْنِ غَرِيْقَتَيْنِ عَنِ الْعِمَارَةِ تَبْحَثَانِ!

(*) أَطْمَشُهَا: كَلِمَةٌ مَنْدَائِيَّةٌ مَعْنَاهَا «أَعْمَدُهَا».

وَبَقِيَتْ حَتَّى آخِرِ الْأَنْفَاسِ تَلْهَجُ فِي حَنَانِ
لَوْ نَسَمَةٌ هَبَّتْ بِقَلْعَةٍ صَالِحٍ لَكَ بِالْأَمَانِ! (*)
لَوْ نَهَرُهَا نَادَاكَ آخِرَ مَرَّةٍ.. وَالشَّاطِئَانِ
لَوْ طَوَّقَاكَ فَنِمْتَ فِي حُضْنَيْهِمَا وَالْفَجْرُ دَانِي!
فَتَرَى إِلَى شَمْسِ الْعِرَاقِ وَمُقَلَّتَاكَ تُحَدِّرَانِ!
مَشْبُوبَةٌ هِيَ فِي الْمِيَاهِ وَأَنْتَ مَشْبُوبُ الْمَحَانِي!

عُذْرَ الْيَرَاعِ أَبَا سَنَانٍ إِنَّ بَرِّيَّتُ، وَإِنْ بَرَانِي
أَنَا فِي رِحَابِكَ وَالْعَيُونُ جَمِيعُهُنَّ لَنَا رَوَانِي

(*) قلعة صالح: قضاء من أفضية ميسان عاش فيها عبد الجبار
عبد الله طفولته وصباه.

شَمْسَانِ مَنَدَائِيَّتَانِ بَكْلٌ حُبٌّ تُشْرِقَانِ!
تَهَبَانِ لِلْبَشْرِ الْغَضَارَةَ، وَالْمَحَبَّةَ، وَالْأَمَانِي
وَبَكْلٌ مَا يُغْنِي الْهَوَى جَرِيَانِ دَجَلَةَ تَجْرِيَانِ!
فَبِأَيِّ آلَاءِ الَّذِي أَعْطَيْتُمَاهُ يُكْذِبَانِ؟!



يا شيخ شعري

في رثاء الجواهري
كتبت في اليوم الثالث لوفاته

لا الشُّعْرَ أبكيه، لا الإبداع، لا الأدب
أبكي العراق، وأبكي أمّتي العربيّ
أبكي على كلِّ شمسٍ أهدروا دَمَها
وبعدَما فقَدوها أسرجوا الحطّبا!
أبكي على وطنٍ يبقَى الأديبُ به
ليس الغريب، ولكنَّ أهلهُ غريبا
أبكي على النّخلِ يا مَنْ أنتَ صاحبهُ
وأنتَ ساقيه قَرناً ماءك العذبا

وراح حتى العدا يجنونهُ رُطباً
وأنت تعلقُ منه السَّعْفَ والكربا!

أبكي لأهوارِ أهلي الآن بَلِّغْهُمَا
يَبْكِي فَيُبْكِي بِهَا الْبَرْدِيَّ وَالْقَصَبَا

وَإِذْ مُهَاجِرَةٌ الْأَطْيَارِ تَبْلُغُهَا
تَبْكِي وَتَمَعِّنُ عَنْ قِيَعَانِهَا هَرَبَا!

أبكي الفُراتين.. هل تدري مياهُمَا
بأنَّ أعظمَ مَنْ غَنَّى لَهَا ذَهَبَا؟

لا (دجلةُ الخير) أَلَوْتَ مِنْ أَعْنَتِهِ
ولا الفُراتُ بِخَيْلِ الْمَوْتِ فِيهِ كَبَا

كَأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ يَوْمًا نَدِيمَهُمَا
ولا أَدَارَ هُنَا كَأَسَا، ولا شَرِبَا

ولا جرى دمه ما سال دمهها
ولا تنزى دماء كَلِّما اختضبا

يا حامل السبع والتسعين معجزة
أقلها أنها لم تعرف الرهبا

لكنها عمر قرن كامل عرفت
أن تستقر، وأن توري الدنيا غضبا!

يقال أهرب ما في الموت وحشته
نفسى فذاك، هل استوحشت حين دى؟!

وهل شعرت اغتراباً في معيته؟
قضيت عمرك يا مولاي مغترباً!

وهل صمت اضطراراً، أو مجانفة؟
أم كنت أبلغ أهل الأرض منشعباً؟!

وهَل تُوفِّيتَ فعِلاً، أم وُلِدتَ بهِ؟!
إنِّي رأيتُكَ مِلاءَ المَوْتِ مُنتَصِباً
حتى لَقَد ضَجَّتِ الدُّنيا بما نَشِبَتْ
أظفارُ مَجْدِكَ فيه لا بما نَشِبَا!

يا شَيْخَ شِعْري، ويا شَيْخِي وشَيْخَ دَمِي
مَن لي بَأَنِّ أَفتدِيكَ الآنَ مُحْتَسِباً؟
مَن لي بَأَنِّ أُرْجِعَ الأيَّامَ دَوْرَتَها
فَأَسْتَعِيدَكَ بَحْراً زاخِراً لَجِبا
يَلوي يَدَ الرِّيحِ لا تَلوي أَعنَّتَهُ
ويَلطِمُ الجَبَلَ الجَلْمودَ مُحْتَرِبا
سَبْعونَ عاماً، ولِلطَاغوتِ رَهْبَتَهُ
ما رَأَكَ النَّاسُ، أَيُّ النَّاسِ، مُرْتَهَباً

بَلِ وَالْجَأِ كَوْلِجِ الْمَوْتِ دَوْرَهُمْ
مُهْتَكَاً عَنْهُمْ الْأَسْتَارَ وَالْحُجُبَا

مُغَاضِباً مِثْلَ صِلِ الرَّمْلِ، مُنْصَلِتاً
لِلرِّيْحِ.. لَا عَطْشاً تَشْكُو وَلَا سَغْبَا

فِي حَيْنِ بَيْتِكَ أَغْصَانٌ مُهْدَأَةٌ
تَذْوِي، وَأَجْنَحَةٌ أَبْقِيَّتْهَا زُغْبَا

مُرْفِرِفَاتٍ عَلَى الْأَوْجَاعِ، دَامِيَةٌ
وَأَنْتَ تَرْنُو إِلَيْهَا مَشْفِقاً حَدْبَا

وَكُلَّمَا مَالَ مِيزَانُ الْأَبِ انْتَفَضَتْ
أَبُوَّةُ الشُّعْرِ فِي جَنْبَيْكَ فَانْقَلَبَا!

قَالُوا هَرِمْتَ.. وَعُمْرِي لَمْ أَجِدْ هَرِمًا
مَرَاهُ يَمْنَحُ حَتَّى الْمَيْتَيْنِ صَبَا!

وَدَدَّتْ وَاللَّهِ لَوْ أُعْطِيَكَ مِنْ عُمْرِي
عُمْراً لِيُصْبِحَ لِي إِنْ أَنْتَسَبَ نَسَباً!
يا ذا الْمَسْجَى غريباً والعراقُ هنا
يَشُقُّ قُمْصَانَهُ فِي الْبُعْدِ مُنْتَحِباً
وَتَصْرُخُ النَّجْفُ التُّكْلَى مُرَوَّعَةً
رَجَّعُ الْمَآذِنِ فِيهَا يُفْزِعُ الْقُببَا
وَأَنْتَ تَتَأَى فَتَلْوِي أَلْفَ مِئْدَنَةٍ
رِقَابَهَا، وَيَضْجُ الصَّحْنُ مُضْطَرِباً!
وَلِلْجِبَالِ بِكُرْدِسَاتَانِ نَائِحَةٌ
تَبْكِي الْيَنَابِيعَ، وَالْغَابَاتُ، وَالرَّشْبَا
مِنْ بَيْرِهِ مَكْرُونٌ يَمْتَدُّ الْعَوِيلُ بِهَا
حَتَّى تَرَاهُ عَلَى حَمْرَيْنِ مُنْسَكِباً!

أَمَّا الْجَنُوبُ فَيَدْرِي الْمَاءُ مَا هَجَعَتْ
حَمْرِيَّةٌ فِيهِ، أَوْ هَبَّتْ عَلَيْهِ صَبَا
إِلَّا جَرَّتْ أَدْمَعاً خُرْساً شَوَاطِئُهُ
وَجَاءَهَا دَمْعُ كُلِّ النَّخْلِ مُنْسَرِباً!

أَبَا فُرَاتٍ.. أَبَا رُوحِي وَقَافِيَتِي
وَمَا عَرَفْتُ لِأَوْجَاعِي سِوَاكَ أَبَا
مِنْ يَوْمٍ فَتَحَتْ عَيْنِي وَالْعِرَاقُ دَمٌّ
يُطَوِّى فَتَهْتِكُ عَنْ طُوفَانِهِ الْحُجُبَا
مُعَاتِباً تَارَةً.. مُسْتَتَكراً أَبَداً
مُغَاضِباً.. سَاخِراً حِيناً، وَمُكْتَتِباً
لَكِنْ تَظَلُّ عَلَى الْحَالَاتِ أَجْمَعِهَا
شَوْكَ الْعِرَاقِ الَّذِي يُدْمِي إِذَا احْتُطِبَا!

عَلَّمْتِي مَدْ شَرَّايِينِي بَرَّتْ قَلَمِي
كَيْفَ الْأَدِيبُ يُلَاقِي مَوْتَهُ حَرِيحاً
وَكَيْفَ يَجْعَلُ مِنْ أَعْصَابِهِ نُذُرًا
حِينًا، وَحِينًا نُذُورًا كُلَّمَا وَجَبَا
وَكَيْفَ يَصْعَدُ دَرْبَ الْجَمْرِ مُشْتَعِلًا
مُجَانِفًا .. عَصَبٌ يُدْمِي بِهِ عَصَابًا!
عَلَّمْتِي كَيْفَ أُهْدِي لِلْعِرَاقِ دَمِي
شِعْرًا، وَأَخْشَى الْعِرَاقِيِّينَ إِنْ نَضَبَا!
[مِنْ قَبْلِ قَرْنٍ لَوْ أَنَا نَبَتَغِي عِظَةً
وَعَظَّتْنَا أَنْ نَصُونَ الْعِلْمَ وَالْأَدْبَا!]



سلامٌ أبا فخرى عليك

في رثاء السيد مرزہ القزويني

۱۹۶۴

أَلَا إِنَّ خُطْبَ الْمَوْتِ فِيكَ جَلِيلٌ
وَبَعْدَكَ كُلُّ الذَّاهِبِينَ قَلِيلٌ
وَبَعْدَكَ كُلُّ النَّازِلَاتِ تَوَافِهِ
وَكُلُّ الَّذِي أَسْعَى إِلَيْهِ هَزِيلٌ
وَكُنْتُ جَزُوعاً فِي الْأَذَى فَتَرَكْتَنِي
وَعِنْدِي لِكُلِّ الْفَاجِعَاتِ قَبُولٌ
أَلَا لَيْتَ أَنِّي مَا عَرَفْتُكَ سَاعَةً
إِذْ كَانَ حُزْنِي عَابِرَةً وَيَزُولُ

وَلَكِنْ يَشَاءُ اللَّهُ لِي أَنْ تُجِيرَنِي
وَأَنْ تَحْتَفِيَ بِي وَالْخُطُوبُ تَصُولُ

وَمَا كِدْتُ أَدْنُو مِنْكَ حَتَّى رَزَأْتَنِي
فِيَا لَيْتَ أُمِّي بِي عَلَيْكَ تَكُولُ!

وَمَا كُنْتَ فَرْدًا إِذْ فَقَدْتُكَ إِنَّمَا
أَخٌ وَأَبٌ فِي وَاحِدٍ وَخَلِيلٌ

يَقُولُونَ إِنَّ الصَّبْرَ فِي كُلِّ حَالَةٍ
جَمِيلٌ، وَهَلْ صَبْرٌ عَلَيْكَ جَمِيلٌ؟

سَلَامٌ أَبَا فَخْرِي عَلَيْكَ أَطِيلُهُ
بَلَى، وَسَلَامٌ الْأَصْدِقَاءِ طَوِيلٌ

وَكَانَ عِنَاقًا كُلَّ يَوْمٍ لِقَاؤُنَا
فَهَلْ لِفَمٍ يَسْعَى إِلَيْكَ سَبِيلٌ؟

وَهَل لِيَدٍ بَارَكْتَهَا إِذْ لَمَسْتَهَا
رَوَاءَ سَلَامٍ مِثْلِ ذَاكَ خَضِيلُ

أَسَلَّمَ رَغَمَ الْهَمِّ، وَجَهِيَ ضَا حَكَ
لَأَنَّ سَنَى مِنْ نَاطِرِيكَ كَفَيْلُ

أَنَا الْيَوْمَ أَسْتَعْفِيكَ أَنِّي مُسَلِّمٌ
عَلَيْكَ وَمِدْرَارُ الدُّمُوعِ يَسِيلُ

أَنَا الْيَوْمَ أَسْتَعْفِيكَ أَنِّي مُنْشِدٌ
وَكَنتُ عَيْبًا حَيْثُ أَنْتَ قَوْلُ

رَجَوْتَ سَمَاعِي فَاعْتَذَرْتُ مُغْمَغِمًا
فَكُلُّ حَدِيثٍ مِنْ سِوَاكَ دَخِيلُ

لَقَدْ كُنتُ أَسْتَحْيِيكَ حَيًّا، وَهَا أَنَا
وَحَقِّكَ، رَغَمَ الْمَوْتِ، مِنْكَ خَجُولُ

فَصَمْتُكَ هَذَا الْيَوْمَ أَبْلَغُ نَاطِقٍ
وَقَوْلِي وَقَوْلُ الْآخِرِينَ فُضُولُ

تَكَلَّمْتُكَ مِنْ نَاعٍ يَصُكُّ مَسَامِعِي
لَهُ مَدْيَةٌ بَيْنَ الضُّلُوعِ تَجُولُ

تَكَلَّمْتُكَ تَتَعَى كُلَّ خَيْرٍ وَطَيِّبَةٍ
أَمَا كَانَ فِي هَذِي الْأُلوْفِ بَدِيلُ؟

أَمَا كَانَ فِي هَذِي الْخُشَارَةِ مَقْصَدُ
لِسْهَمٍ أَصَابَ الْمَجْدَ فَهُوَ قَتِيلُ

تَتَادَيْتَ بِاسْمِ يَعْلَمُ اللَّهُ أَنَّهُ
وَصُولُ لِكُلِّ الْمَكْرُمَاتِ فَعُولُ

فَسَالَتْ بِكَ الْأَمَاقُ دَمْعاً مُخَضَّباً
وَمَالَتْ لِكَ الْأَعْنَاقُ حَيْثُ تَمِيلُ

سَلَامٌ أَبَا فَخْرِي عَلِيكَ، وَإِنِّي
لَأَكْبِرُ أَنَّ الرَّأْسِيَّاتِ تَزُولُ
وَأَنَّ بَحَاراً بَيْنَ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ
تَجْفُ، وَتَغْدُو بِلِقْعَاءٍ، وَتَحُولُ
بَلَى، وَمَعَاذَ اللَّهِ، مَا كُنْتُ نَاكِرًا
وَلَكِنَّ وَطْءَ الْمَوْتِ فِيكَ ثَقِيلٌ

سَلَامٌ أَبَا فَخْرِي عَلِيكَ، وَدُونَهُ
عَلَى رَغْمِنَا، تُرْبٌ عَلَيْكَ مَهِيلٌ
يَمِينًا بِمَا بَيْنِي وَبَيْنَكَ إِنِّي
لِقَلْبِي مَا بَيْنَ الضُّلُوعِ مَسِيلٌ
أَمْرٌ عَلَى الدِّيَّانِ حَيْثُ يَلْمُنَا
وَلِي نَاطِرٌ عَنِ مُتَّكَأكَ كَلِيلٌ

وأجلسُ مَذْهُولاً غريباً، ولم يكنْ
يرينُ على وجهي لَدَيْكَ ذُهولُ
وكيف ذُهولي عنكَ إذ كلُّ لَفْتَةٍ
تَلَفَّتْهَا لِلصَّالِحَاتِ دَلِيلُ
وإذْ أَنْتَ لِلشَّاتِينِ دَفِءٌ وَرَحْمَةٌ
وَلِلْقَائِظِينَ الْمُتَعَبِينَ مَقِيلُ
وَبَيْتُكَ لِلْمُسْتَضَعِّفِينَ حِمَايَةٌ
وَهَدْيِي لِكُلِّ الْعَاطِرِينَ مَقِيلُ
فِيَا بَاذِخَ الْأَمْجَادِ فِيكَ أِزْوَارَةٌ
وِيَا يَانِعَ الْأَعْوَادِ فِيكَ ذَبُولُ
وِيَا كَاتِباً «أَهلاً وَسَهلاً بِمَنْ أَتَى»
أَتَاكُمْ أَتَاكُمْ وَافِدٌ وَنَزِيلُ

فما لي أرى ديوان بيتك خاوياً
وقد ملأته رنةً وعويلٌ؟

ومالك يا طلق الشَّمائلِ حلوها
سَكَتٌ ومنك القولُ حين تقولُ؟

ألا مرحباً تزجى؟ ألا بعضُ مرحبٍ
بصوتك يا من يحتفي ويُنيلُ؟

لقد كنت أوفى الناسِ حين كتبتها
لتبقى إذا ما حان منك رحيلُ

سلامٌ أبا فخري عليك فدهرنا
بمثلك يا خير الرجالِ بخيلُ
تشاءُ لي الأقدارُ لا درَّ درها
وفاءً لدينٍ ما إليه وصولُ

بكي جدكم جدي، وها أنا جازعُ
عليك، وخلفي للمنيّةِ غُولُ^(*)
يميناً إلى نُقياك أبقى مسلماً
عليك.. صباح ينطوي وأصيلُ..



^(*) إشارة إلى رائعة الشريف الرضي في رثاء أبي إسحق الصابي.

النَّخْلُ لَا تَنْحِنِي إِلَّا ذَوَائِبُهُ

في حادثِ فاجع، في نيسان ١٩٨٧
فقد الرئيس البكر ولده. هذه
القصيدة كُتبت في احتفالات نيسان
من العام نفسه.

جَلَّ ابْتِسَامُكَ عَنْ حُزْنِ يَواكِبِهِ
أَقْبِلْ، وَإِنْ كَانَ دَمْعُ أَنْتِ سَاكِبُهُ
لا بِأَسَ نَيْسَانَ.. بَعْضُ الدَّمْعِ مَكْرُمَةٌ
وَشَيْخُكَ الْآنَ فِي صَمْتٍ يُغَالِبُهُ
لا بِأَسَ نَيْسَانَ.. أَدْرِي أَنَّهُ شَطَطٌ
مِنَ الزَّمَانِ، وَشَيْخِي لَا يُعَاتِبُهُ
رَجَوْلَةً، غَيْرَ أَنَّ الشَّمْسَ قَدْ كَلَفَتْ
وَأَنَّ فَجْرَكَ، رُغْمًا، مَالَ جَانِبُهُ

يا سَيِّدِي كُنْ عَذِيرِي أَنْ فِيَّ أَباً
وَقَلْبُ كُلِّ أَبٍ قَلْبِي يُرَاقِبُهُ
فَكَيْفَ إِنْ كُنْتَ أَنْتَ الْقَلْبَ.. مَعذِرَةٌ
إِنَّا عَلَى الْحُزَنِ نَنْسِي مَنْ نُخَاطِبُهُ!
أَقُولُ صَبْرًا؟.. لِمَاذَا؟.. مَنْ يُخَوِّلُنِي
هَذَا؟.. وَأَكْرَمُ صَبْرٍ أَنْتَ صَاحِبُهُ
لَا تَحْزَنْ؟.. تَجْرؤُ الْأَلْفَاظُ؟.. أَيُّ فَمٍ
يَقُولُهَا؟.. ثُمَّ مَنْ ذَا لَا يُحَاسِبُهُ؟
يَلُوحُ لِي سَيِّدِي أَنْ الزَّمَانَ عَلَى
قَدْرِ الْمَرْوَةِ تَأْتِينَا عَوَاقِبُهُ
إِنَّ الْكَبِيرَ كَبِيرَاتٍ مُدَوِّيَّةً
أَمْجَادُهُ، وَكَبِيرَاتٍ مَصَائِبُهُ!

يا أيها الرجلُ الـ تَبَقَى أُبُوتُهُ
كَخَيْمَةِ اللَّيْلِ تَأْوِيهَا كَوَاكِبُهُ
يَسِيلُ جُرْحُ ضِيَاءٍ فِي حُشَاشَتِهِ
لَوْ جَانِبٌ مِنْ سَنَاهَا خَرَّ ثَاقِبُهُ
لَكِنْ يَظَلُّ مَهَيْبَ الصَّمْتِ مُشْتَمِلًا
بِكَبْرِهِ، مُسْتَقِيمَاتٍ مَنَاكِبُهُ!
رَجَوْلَةٌ أَنْ وَجَّهَ الْجُرْحَ مِنْكُمْ
وَإِنْ تَفَجَّرَ فِي الْأَعْمَاقِ شَاخِبُهُ
رَجَوْلَةٌ أَنَّهُ مَا شَالَ مِنْ عَجَبٍ
يَوْمًا، وَلَا انْحَطَّ عِنْدَ الْهَمِّ حَاجِبُهُ!
يَبْقَى الْمُحِيطُ مَهْيَبًا، هَادِنًا .. وَلَقَدْ
تَغْلِي بِمَا لَا تَرَى عَيْنٌ غِيَاهِبُهُ!

يَا سَيِّدِي إِنَّ بَعْضَ الشُّعْرِ مُنْفَجِرٌ
مِنَ الضَّمِيرِ، تُلَبِّيهِ رَوَاسِيهِ
تَجِيشٌ بِالْهَمِّ، كُلُّ الْهَمِّ، فَوْرَتُهُ
وَتَجْمَعُ الْحُزْنَ طُوفَاناً مَسَارِبُهُ

مِنَ لُثْغَةٍ .. مَهْدِ طِفْلِ فَارِغٍ .. لُغَةٍ
نَعْتَادُهَا . أَمَلٍ كُنَّا نُدَاعِبُهُ
ثُمَّ انْتَهَى تَارِكاً ظِلًّا يُطَالِعُنَا
وَمَوْضِعاً صَوَّحَتْ فِيهِ مَلَاعِبُهُ!

يَا سَيِّدِي، حُزْنُ كُلِّ الْأَرْضِ تُبْصِرُهُ
فِي مَرْفَأٍ رَحَلَتْ عَنْهُ مَرَائِبُهُ!

يَا وَالِدَ الشَّبْلِ مَجْدُولاً تَسِيرُ بِهِ
وَهَنَّا عَلَى دَمِهِ الزَّاكِي قَوَارِبُهُ

بِمَنْ أَعَزَّيْكَ؟ .. فِي لِبْنَانِ إِخْوَتُهُ
دَمٌ تَجِيشٌ بِلا ذَنْبٍ غَوَارِبُهُ
بِمَنْ أَعَزَّيْكَ؟ .. هُمْ أَوْلَادُكَ الِ قُتِلُوا
بِالْأَمْسِ فِي مَجْمَرٍ ضَاقَتْ مَذَاهِبُهُ
فَفَرَّجُوها بِأَزْكَى ما بِهِم، دَمِهِم
صَانَتْ كَرِيمَةً مَرَّوانِ كَتَائِبُهُ!
بِمَنْ أَعَزَّيْكَ؟ .. هُمْ أَهْلوكَ مَنْ حُصِدُوا
عَلَى فِلَسْطِينِ .. مَسْلُوبٌ وَسَالِبُهُ
تَعَاوَرُوا دَمَهُ .. يَغْلِي فَتَسْفَحُهُ
حِيناً عِدَاةً، وَأَحْيَاناً أَقَارِبُهُ!
يا سَيِّدِي .. أَنْ تُؤاسِي أُمَّةً رَجُلًا
بِنَجْلِهِ، فَتُؤاسِيها مَنَاقِبُهُ

مجد، وإن كان يُدمي قلبَ صاحبه
ذِيَاكَ جَرِحُ ضَمِيرِ الشَّعْبِ عَاصِبُهُ
ما التَّكَلُّ تَكَلَّكَ.. مَوْتُ الحَرِّ مَأْتِرُهُ
جَرِحُ كَرِيمٍ مُضِيِّاتٍ مَسَاكِبُهُ
التَّكَلُّ تَكَلُّ الَّذِي مَاتَتْ مَرُوءَتُهُ
فَمَا تَنْزُسُوى فَيَحِ مَضَارِبُهُ!
التَّكَلُّ تَكَلُّ الَّذِي لَمْ يَبْقَ مِنْهُ سَوى
شَتِيمَةٍ أَبَدَ الدُّنْيَا تُصَاحِبُهُ
إِنَّ الَّذِي هَزَّتْ الدُّنْيَا خِيَانَتَهُ
غَيْرُ الَّذِي هَزَّتْ الدُّنْيَا نَوَائِبَهُ!
يا أَيُّهَا الرَّجُلُ العَمَلِيقُ، ما كَدَرْتَ
إِلَّا بِمَوْتِ الَّذِي يَهْوَى مَشَارِبَهُ

تَأَلَّقَتْ صُغْدًا أَيَّامُهُ، وَسَمَتْ
أَعْلَامُهُ، وَزَكَتْ فَرَعًا نَجَائِبُهُ
وَطَالَ حَتَّى كَأَنَّ الشَّمْسَ هَامَّتُهُ
وَصَالَ حَتَّى كَأَنَّ الْمَوْتَ صَاحِبُهُ
وَصَادَمَتْ رُجْمَ الدُّنْيَا كَتَائِبُهُ
وَزَاحَمَتْ قَمَمَ الدُّنْيَا مَوَاكِبُهُ
هَذَا التُّرَابُ الَّذِي تَبْقَى سَقَايَتُهُ
دَيْنًا، وَكُلُّ أَخِي دَيْنٍ نُطَالِبُهُ
شَارَكَتْ أَهْلَكَ فِيهِ إِذْ جَرَيْتَ لَهُ
دَمًا أَعَزُّ عِبَادِ اللَّهِ سَاكِبُهُ!

يَا سَيِّدِي كُلُّ مَوْلُودٍ لَهُ أَجَلٌ
وَكُلُّ مَوْتٍ طَوِيلَاتٌ مَخَالِبُهُ

لكن يُقَصِّرُ مِنْهَا أَنْ تَحُطَّ عَلَى
جَلْدٍ، وَإِنْ هَيْضَ، تَلْوِيهَا مَعَاطِبُهُ!

يا أَيُّهَا الرَّجُلُ الْعِمْلَاقُ جَذْرُكَ مِنْ
هَذَا التُّرَابِ، وَمَا تَفْنَى عَجَائِبُهُ

تَهْبُ كُلُّ رِيَّاحِ الْأَرْضِ عَاصِفَةً
وَالنَّخْلُ لَا تَنْحَنِي إِلَّا ذَوَائِبُهُ!

وَتَسْتَعِيثُ جِرَاحُ الْأَرْضِ أَجْمَعُهَا
وَجَرْحُنَا أَبَدًا خُرْسٌ نَوَادِبُهُ!

يَظَلُّ يَزْخَرُ مِنْ كِبَرٍ وَمَوْجِدَةٍ
حَتَّى تَفْجَرَّ بُرْكَانًا لَوَاهِبُهُ!

عَنَفَ الْفُرَاتِ، إِذَا هَيْضَتْ مَنَابِعُهُ
فَاضَتْ فَأَغْرَقَتْ الدُّنْيَا غَوَارِبُهُ!

يا أيها الرجل العملاق معذرةً
لا يبتدر الدهر إلا من يوائبه
إنني رأيت إلى الأقزام تخطئهم
لفرط ما صغروا جرماً، نوائبه
أولاء لا فقدهم أبكى، ولا دمهم
زكى، ولا ميئتهم قامت خرائبه
لكنهم همّل التاريخ، تلفظهم
أدنى ذراه، وتؤويهم خرائبه
فيا كبيراً على الأحداث، منصلتاً
للنازلات، معدّات ركائبه
محشّات بلا ليين تجاربه
مؤجلات إلى حين غواضبه

لَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَدْرًا أَنْتَ رَافِعُهُ
وَلَا أَطَّاحَ سَنَامًا أَنْتَ غَارِبُهُ
وَلَا تَنْزَلَ أُمَّةً يَهْدِي مَسِيرَتَهَا
سَنَّاكَ يَا مَشْعَلًا نَبْقَى نُرَاقِبُهُ..!



بين يَدَي عبد الرحيم عمر..

كتبت هذه القصيدة في الطريق إلى
عمان .. وافتتح بها مهرجان الرَّمْثَا
الشعري بُعِيد وفاة شاعر الأردن
الكبير عبد الرحيم عمر.

قَرَّبَ رِحَالِكَ مِنْ رِحَالِي
فَمَأَلْنَا نَفْسُ الْمَالِ
نَفْسُ الْمَفَاذَةِ وَالْخُطَى
لَكِنْ سَبَقْتَ أَبَا جَمَالِ!
أَدْرِيكَ عُمْرَكَ غَالِبِي
لَكِنْ رَهَانُ الْمَوْتِ غَالِي!
حَتَّى وَأَنْتَ تَمُوتُ، تَأْبَى
أَنْ تَمُوتَ وَأَنْتَ تَالِي!

فَسَبَقْتَنَا .. لَمْ تَلْتَفِتْ

حَتَّى لِيَيْتِكَ وَهُوَ خَالِي!

قَرَّبَ رِحَالِكَ مِنْ رِحَالِي

وَاشْبَكَ حِبَالَكَ فِي حِبَالِي

فَأَنَا وَحِيدٌ، وَاهْنُ الْـ

خُطُواتٍ .. مُرْتَجِفُ الظُّلالِ

مَتَغَرِّبُ حَدِّ الضِّيَاعِ

مُؤَجِّلُ حَدِّ الْمَلالِ

لَا وَتَّرَتِ قَوْسِي كَعَهْدِكَ

بِي .. وَلَا رِيَشَتِ نِبَالِي

لَكِنْ أَعِيشُ وَلَا تَسَلْ

مَاذَا أَعِيشُ عَلَى اِكْتِهَالِي

وأسيرُ.. ها أنذا أسيرُ

مع القطيعِ بلا سؤالِ

وعلامَ أسألُ..؟.. مَن سأسألُ؟؟

مَن بأَسئلتِي يُبالي؟

وطريقنا هذي المتاهةُ

والدليلُ أبو رُغالِ!

قربَ رحالكَ من رحالي

واغفرْ شكاتي وانفعالي

خمسونَ عاماً والأكفُ

على الزنادِ أبا جمالِ

خمسونَ عاماً.. أنتَ تذكرُ

كَم مِنَ الغُررِ الغوالي

أَنشَدْتَهُنَّ وَرَدَّدْتِ

أَصْدَاءَهَا مَعَكَ اللَّيَالِي

خَمْسُونَ عَاماً وَالْمَأْذِنُ

تَسْتَفِيقُ عَلَى بِلَالٍ!

خَمْسُونَ عَاماً وَالصَّلَاةُ

تُقَامُ مَوْحِشَةً الْجَلالِ!

وَدَمَاؤُنَا تَجْرِي، وَنَحْنُ

نُمدُّهُنَّ بِبِلَالٍ

خَمْسُونَ عَاماً جُنْدَتِ

حَتَّى الْحِجَارَةُ فِي الْقِتَالِ!

حَتَّى الصِّغَارُ نَمَوْا وَشَابُوا

بَيْنَ هَاتِيكَ الصَّوَالِي

وَأَلآنَ .. هَا أَنْذَا أَمَامَ
حَضْرِكِ الْجَمِّ الْكَمَالِ
أَتَرَى إِلَى النُّقْصَانِ فِي؟
وَهَلْ تُحْسُ مَدَى انْخِذَالِي؟
لَوْ كُنْتَ تُبْصِرُنِي لِتَعْرِفَ
أَيُّ مَذْبَحَةٍ بِيَالِي
وَأَنَا أَرَى وَطَّنِي يُبَاعُ
وَكُلَّ زَرْعِي لِلزَّوَالِ
وَدُمَاءِ أَوْلَادِي أَمَامِي
تَسْتَحِيلُ إِلَى احْتِفَالِ
تَتَصَافَحُ الْأَيْدِي عَلَيْهَا
وَهِيَ تُشْرَبُ لِلثُّمَالِ!

ومحارمي.. وأنا أقولُ

لها: أموتُ ولن تُتالي

وإذا بها من موليدي

قد هيئتُ للإحتلال!

فإذا اشتعلتُ فأئهم

لا يُستفز من اشتعالي؟

وإذا رميتُ فَمَن يدي؟

وإذا انتخيتُ فَمَن رجالي؟

الحمدُ لله الذي

خذلَ الأوائِلَ بالتوالي!

الحمدُ لله الذي

دفعَ اليقينَ إلى الضلال!

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي
تَرَكَ الرَّؤُوسَ بِلَا عِقَالٍ!

هَذِي نَهَايَاتُ الْمُطَافِ
وَتِلْكَ خَاتِمَةُ النُّضَالِ!

قَرَّبَ رِحَالِكَ مِنْ رِحَالِي
وَارْفُقَ وَأَنْتَ تَرَى هُزَالِي

أَنَا فِي زَمَانٍ لَا يُعِينُ
وَلَا يُعَانُ بِأَيِّ حَالٍ!

أَذْنَابُهُ عَدَدَ الْحَصَى
وَذُنَابُهُ عَدَدَ الرَّمَالِ

وَرِحَاهُ مَا تَتَفَكُّ تَطْحَنُ
أَهْلَهُ حَتَّى الثُّغَالِ

فإذا التفتُ إلى اليمينِ
أو التفتُ إلى الشمالِ
أَكْوَامُ مَطْحُونِينَ مَدَّ الْعَيْنِ
مِثْلُ مِثْلِهِ حَيْثُ حَالِي
وَرُكُومُ مَطْعُونِينَ، لَا
فِي الْجِسْمِ، لَكِنْ فِي الْخِصَالِ
سَقَطَ الزَّمَانُ فَأَهْلُهُ
يَتَسَابِقُونَ لِلابْتِذَالِ!
يَتَبَجَّحُونَ بِأَنْتَهُمْ
نَصَرُوا الْحَرَامَ عَلَى الْحَلَالِ
وَبِأَنْتَهُمْ يَتَهَفَّتُونَ
عَلَى الصَّغَائِرِ وَالسُّفَالِ

وبأنَّ أَقْصَى مَا يُؤْمَلُ
خَيْرُهُمْ عَيْشُ الْمَوَالِي!

هَذَا زَمَانٌ مَا حَلَمْنَا
أَنْ يَجِيءَ أَبَا جَمَالٍ
مَنْ مَاتَ مَاتَ، وَمَنْ يَعِشْ
فَلانْتَحَارِ أَوْ الْخَبَالِ
أَوْ يَسْتَحِيلُ، وَعَنْ رِضَاهُ
نَخَالَةٌ بَيْنَ النَّخَالِ!

أَرَأَيْتَ مَنْ مَنَّا يُغَالِي؟
مَنْ يَسْتَفْزُ.. وَمَنْ يُمَالِي؟
مَنْ يَنْحَنِي.. مَنْ يَسْتَطِيلُ
وَمَنْ يُطَاطِيءُ وَهُوَ عَالِي؟

وَمَنْ الَّذِي يَحْتَجُّ حِينَ
تُبَاعُ أَعْرَاضُ الرِّجَالِ؟
أَنْتِ احْتَجَجْتِ بِكُلِّ مَوْتِكِ
وَاحْتَجَجْتِ بِالْإِعْتِزَالِ!
وَتَرَكْتِنَا .. لَمْ تَلْتَفْتِي
وَأَقَمْتِ مُنْكَفِيءَ الدَّلَالِ!
أَبْكِي عَلَيَّ وَطَنِي، وَتَذْبِحُنِي
مَخَافَةً أَنْ يُـوَالِي
وَأَذُودُ عِنْدَهُ بِأَضْلَعِي
وَأَذُودُهُ هُوَ عَنِ عِيَالِي!
فَانظُرِي إِلَيَّ وَقَدْ غَدَوْتُ
أَخَافُ مِنْ أَهْلِي، وَأَلِي

وأَقَمْتُ فِي جُرْحَيْنِ .. جُرْحِ
يَدِي .. وَجُرْحِ أَبِي وَخَالِي
وَكَلَاهُمَا .. يَفْنَى الزَّمَانُ
وَلَا يَفْنَى لِّلْأَنْدِمَالِ!
لَكُنْتُ عَبْدَ الرَّحِيمِ
وَحَقُّ بَيْتِكَ وَهُوَ غَالِي
مَا نَمْتُ يَوْمًا وَالْعِرَاقُ
مُعَرَّضٌ لِلْإِغْتِيَالِ!
كَلًّا، وَلَا أَرْخَيْتُ قَوْسِي
وَهُوَ مُشْتَجِرُ النَّصَالِ
لِي فِيهِ أَنْ دَمِي يَسِيلُ
وَأَنْ أوردتِي تُلَالِي

وبأَنَّهُ عُمُقَ الضَّمِيرِ
وَحُبُّهُ عُمُقَ الخِيَالِ!

عبدَ الرحيم.. وقد نذرتُ
دمي، وجاوزتُ احتمالي

ودخلتُ بيتَكَ مثمًا
أدمنتُ في الحَجَجِ الخوالي

فرأيتني.. والأهلُ أهلي
والرئالُ بهِ رئالي

لكنتني مثلُ الغريبِ
تكادُ تُتكرُنني ظلالِي

وأقولُ: ما لي..؟.. صادقُ
أنا يا تُرى إن قلتُ: ما لي؟!

مَا لِي مَنَامُكَ فِي الثُّرَابِ
وَكُنْتَ عَمَلِقاً قِبَالِي!
وَجَنُوحُ صَوْتِكَ لِلنُّعَاسِ
وَكَانَ يَفْتَرِعُ اللَّيَالِي
وَمَالَ تِلْكَ الْأَرِيحِيَّةَ
وَالْفَتْوَةَ لِلزَّوَالِ
وَبِأَنْتِي أَمْسَيْتُ أَدْمَى الْـ
ثَاكِلِينَ أَبَا جَمَالِ
سَاءَلْتُ نَفْسِي إِذْ ذُرَى
عَمَّانَ تَلْمَعُ فِي الْجِبَالِ
وَاللَّيْلُ مُرْخَى فِي الْأَرْقَةِ
وَالْمَنَازِلِ .. وَالسُّدَّوَالِي

وأنا أدورُ سُدَىً بعيني
في الوهادِ، وفي التلالِ
لأرى لبيتِكَ، إن تَكُ
الأقمارُ ما زالت تُلالي
أَسْمَعُ الضَّحَكَاتِ.. والأسمارَ
أنظُرُ للهِلالِ
فأراهُ يبكي فوقَ بيتِكَ
وهو يلمعُ في العالِي!
ودخلتُ في عمّانٍ.. منكسِرَ
الخُطى.. وجِلَ الذُّبَالِ
أزورُ قـبـركَ.. أم أزوركُ
في الصَّباحِ أبا جمالٍ؟



وداعاً ابا سدير

فِي رثاء جبرا ابراهيم جبرا

١٩٩٥

فِي وَدَاعِكَ جَبْرًا
سَأَسْتَحْضِرُ الْآنَ بَغْدَادَ مِنْ عُمُقِ خَمْسِينَ عَامًا
لَتُلْقِي عَلَيكَ السَّلَامَ
شَنَاشِيلُهَا، وَأَزَقَّتْهَا،
وَقَوَانِيسُهَا فِي الظَّلَامِ
وَقَوَارِبُهَا السَّابِحَاتُ لِأُمِّ الْعِظَامِ (*)
بَدْرَابِكِهَا، وَالهِالِهِلِ،

(*) أمّ العظام: جزيرة في نهر دجلة.. في قلب بغداد.

والشَّمْعِ يُسْرَجُ فِي كَرْبِ النَّخْلِ..

أَسْتَحْضِرُ الْآنَ بَغْدَادَ

مِنْ نَوْمِ خَمْسِينَ عَامًا

لِتُبْصِرَ أَنَّ الْفَتَى الْجَاءَهَا مِنْ بِلَادِ الْغَمَامِ

وَفِي.. فَقَضَى عُمُرَهُ بَيْنَ أَحْضَانِهَا

وَأَغْوَاهُ يَوْمًا دُجَاهَا فَنَامَ..

سَأَوْقِظُ بَغْدَادَ جَبْرًا

سَأَوْقِظُ مَقْهَى حَسَنَ عَجْمِي الْآنَ (*)

وَمَقْهَى الرَّشِيدِ

وَالْبِرْمَانِ

(*) حسن عجمي، والرشيدي، والبرلمان: أسماء مقاهٍ مشهورةٍ في شارع
الرشيدي ببغداد وكانت تضحُّ بالأدباء آنذاك.

وَأَلْتَمَسُ الْآنَ «بَدْرًا» (*)

أَقُولُ لَهُ إِنَّ جَبْرًا

وَحِيدٌ بِحُفْرَتِهِ

وَهُوَ لَمْ يَأْلَفِ الْمَوْتَ بَعْدُ

فَسَاعِدُهُ

إِنَّ وَلِيدَ بَنِ مَسْعُودٍ (*)

يَقْبَلُ كُلَّ الْفَوَاجِعِ

إِلَّا فَجِيعَةً أَنْ يَتْرَكَهُ وَحِيدًا

فَسَاعِدُهُ

سَوْفَ يَجِيئُكَ «بَدْرٌ» كَعَادَتِهِ

(*) بدر: بدر السياب.

(*) وليد مسعود: بطل رواية جبرا المشهورة.

وأوراقه البيضُ تحتَ وِسادتهِ

قد يمرُّ على عجلٍ بابنِ مردانٍ^(*)

يُخبرُهُ أنَّ جبراً أتى

وتعلمُ أنَّ «حسيناً» سيفزعُ كالطُّفلِ

يُفزعُ أهلَ القبورِ جميعاً

ويجهلُ للآنَ

زهرةَ مردانٍ

أنَّ القبورَ

وأنَّ القصورَ

عالمٌ غيرُ عالمنا

(*) حسين مردان: شاعر عراقي كبير توفي في أواسط السبعينيات.

يَجْهَلُ زَهْرَةَ مُرْدَانَ

أَنَّ «قِصَائِدَ الْعَارِيَاتِ» اِكْتَسَبْنَ قُلُوبَ الْعِذَارَى (*)

وَقُلُوبَ السُّكَارَى

وَقُلُوبَ الْمُحِبِّينَ

يَجْهَلُ أَنَّكَ جِئْتَ لَهُ بِبِنْدَى الْعَاشِقِينَ

وَلَيْدَ بِنِ مَسْعُودٍ ..

وَأُودِعْتَ كَالنَّاسِ قَبْرًا

وَمَوْتِكَ لَا يُشْبِهُ الْمَوْتَ جَبْرًا

رَأَيْتُ إِلَيْكَ خِلَالَ الشُّهُورِ الْأَخِيرَةِ

تُورِقُ .. تُورِقُ

(*) قِصَائِدُ عَارِيَةٍ: دِيْوَانُ مَشْهُورِ لِحْسِينِ مُرْدَانَ.

حَتَّىٰ انْحَنَّتْ تَحْتَ أَحْمَالِهِنَّ جَمِيعُ غَصُونِكَ

هل كنت تركضُ للموتِ جبراً بكلِّ حياتك؟؟

أَمْ كُنْتَ تَحْجِبُهُ عَنْكَ

مُخْتَبِئاً خَلْفَ نَبْضِكَ

وَمُخْتَبِئاً خَلْفَ رَفْضِكَ

حَدَّ الْفَرْعِ

حَسَناً..

سَأُنَادِي بُلْنَدَ وَأَكْرَمَ

أَدْعُو رَشِيدَ بَنِ يَاسِينَ

أَدْعُو الْبُرِيكَانَ (*)

(*) بلند الحيدري، أكرم الوتري، رشيد ياسين، ومحمود البريكان:
أصدقاء جبراً وعصيته.. وهم مع بدر ونازك طليعة التجديد في

أَسْأَلُهُمْ أَنْ يَعُودُوا بِذَلِكَ الزَّمَانَ

مِنْ بَطُونِ الْمُقَاهِي الْعَتِيقَةِ

وَالْتَّخُوتِ الْغَرِيقَةِ

بِالْحِكَايَاتِ..

أَيَّامَ كَانَ أَعَزَّ سَعَادَتِنَا

أَنْ نُؤَلِّبَ مَوْجاً عَلَى جُرْفِهِ

وَنُثِيرَ أَدِيباً عَلَى حَرْفِهِ

كَنتَ أَنْتَ،

وَلَمْ نَكُ نَشْعُرُ

مَحْوَرَكٍ كُلِّ مُشَاكِسَةٍ

الشعر العربي المعاصر.

كنت تَرطُمُ غَيْمًا بَغِيمًا
وتتظُرُ مِبْتَهَجًا كَيْفَ يَشْتَعَلُ الْبَرْقُ
ثمَّ يَهْلُ الْمَطَرُ..

الكتابةُ لَيْسَتْ بِطَرٍّ
هكذا كنت تُوحِي لنا

دونَ أن تتعالَمَ جبراً

وكنّا نهيِمُ بهذا الفتى الجاءنا من بلادِ الغَمَامِ
وفي قلبه هاجسٌ لا ينامُ

أنَّ للحرفِ جمرتهُ

أنَّ للشعرِ خمرتهُ

أنَّ من يكتبُ الشعرَ بين النبوءةِ والموتِ

قد يفقدُ الصوتَ

لكنَّهُ قَطُّ لا يتنازَلُ عن صولجانِ نبوءتهِ..

وها أنتَ ذا
بعدَ سبعينَ عاماً ونَيْفَ
وسبعينَ بَرْدًا وصَيْفَ
تتنازَلُ عن عَرشِ صوتِكَ جبراً
وتَسْكُنُ كالنَّاسِ قبرا

وسلامٌ عليكُ
أنتَ عُمَرَكَ لم تَتنازَلْ ولِيدَ بنَ مسعود
عن نجمةٍ في يَدَيْكَ
ولهذا خَشِيتُ عليكَ من الموتِ جبراً
فكم كنتَ تَتَلَقُّ من أن يَجِيءَ
وما برحتَ بعدُ لؤلؤةً في محارِتها
وهي ترنو إليك..



أَلْقُ الصَّمَّتِ

فِي ذِكْرِ رَحِيلِ الشَّاعِرِ نَزَارِ قَبَانِي

أَلَقُ الصَّمْتِ، وَصَمْتُ الْأَلِقِ
يَسْبَحَانِ الْآنَ فَوْقَ الْوَرَقِ
مَلَأَ أوردَتِي أَشْرَعَةً
مُعْنِياً بِحَارُهَا فِي الْغَرَقِ
وَأَنَا أَرْقُبُ أَطْيَافَهُمَا
وَالسَّنَا، كُلُّ السَّنَا، فِي حَدَقِي!

أَلَقُ الصَّمْتِ.. تُرَى أَيْنَ مَضَى
ذَلِكَ الصَّوْتُ كَأَنْ لَمْ يَنْطِقِ؟
كَيْفَ هَاتِيكَ الرُّؤْيُ أَجْمَعُهَا
جَنَحَتْ مِثْلَ جَنُوحِ الشَّفَقِ؟

لَمْ يَعُدْ غَيْرَ حُرُوفٍ أَنْجُمٍ
وَحَفِيفِ جَرِيَانِ الْغَدَقِ
يَمْلَأَنِ الرُّوحَ حُبًّا وَسَانِيَّ
وَجَمَالاً عَارِيًّا لَا يَتَّقِي
كُلُّ مَنْ يَعشَقُ لَا يُنْكِرُهُ
وَحَدَهُ يُنْكِرُ.. مَنْ لَمْ يَعشَقِ!

أَيُّهَا الْخَالِقُ.. يَا أَبْلَغَ مَنْ
صَوَّرَ الْحُبَّ فَلَمْ يَخْتَلِقِ
لَمْ يُوَارِبْ.. لَمْ يَنْلِ أَجْنَحَةً
حَمَلَتْ رُؤْيَاهُ ضَيْقُ الْأُفُقِ
عَمْرَهُ لِلْحُبِّ فِي نَامُوسِهِ
حُرْمَةً، بَلْ ذِمَّةٌ فِي الْعُنُقِ

أَنْ يُنَاجِيَهُ نَبِيًّا فَارِسًا
لَا كَمَا يَفْعَلُ وَاهِي الخُلُقِ
وَلِذَا كَانَ أَمِيرًا فِي الهَوَى
وَأَسِيرًا فِيهِ سَقَى وَسُقِيَ!

يَا نِزَارَ الحُبِّ.. هَلْ مِنْ لُغَةٍ
تَحْتَقِي بِي، وَلِسَانِ ذَلِيقِ
يُسْقِطُ المَيِّتَ مِنْ أَحْرَفِهَا
وَيَبْقِي ريشَهَا فِي طَبَقِي
عَلَّنِي أَفْلِتُ مِنْ أَجْنِحَتِي
لِدُنِّي كُنَّا عَلَيْهَا نَلْتَقِي
يَوْمَ كُنَّا نَمْلَأُ المَرَبِدَ فِي
لَيْلِ بَغْدَادِ بِذَلِكَ العَبَقِ

وَيَلْمُ الْفَجْرُ مَنْ أَقْدَامِنَا
مَا تَوَارَى فِي زَوَايَا الطُّرُقِ!

يا صديقي.. يا نسيبي.. يا أخي
يا عراقِيَّ الهَوَى والرَّهَقِ
هَلْ بَقَايَا «مَرْحَبًا» تَسْمَعُهَا
مِنْكَ آذَانُ الْعِرَاقِ الْمُرْهَقِ*
عَلَّهَا تَمَسَّحُ مِنْ أَوْجَاعِهِ
عَلَّهَا تَجْمَعُ بَعْضَ الْمِزْقِ
عَلَّهَا تُصْبِحُ أَدْمَى مَرْحَبًا
تَتَّهَادَى نَحْوَهُ مِنْ جَأْقِ!

(*) إشارة إلى قصيدة نزار التي مطلعها:
مرحباً يا عراق، جئتُ أغنيك وبعضُ من الغناء بكاءُ

رُبَّمَا بَلَقَيْسُ تَصْحَوْ قَمَرًا
بَاكِيًا فِي الْكَرْخِ عِنْدَ الْغَسَقِ
فَإِذَا لَاقَيْتَهَا سَلَّمَ لَنَا
قُلْ لَهَا: أَهْلُكَ.. هَذَا مَا بَقِيَ!
رُبَّمَا دَجَلَةٌ تُخْفِي دَمَهَا
وَتُغَطِّي مَا بِهَا مِنْ حُرْقِ
لِتُلَاقِي فِيكَ زَوْجَ ابْنَتِهَا
فَتُحْيِيكَ بِوَجْهِهِ مَشْفِقِ
رُبَّمَا تُبْصِرُ مِنْ صَاحِبِكَ مَنْ
لَمْ يَزَلْ يَسْأَلُ فِي مَفْتَرِقِ!
رُبَّمَا.. كَمْ رُبَّمَا نُطَلِقُهَا
فِي مَآسِينَا بِيَأْسٍ مُطْبِقِ

يَذْهَبُ الصَّوْتُ وَيَبْقَى رَجْعُهُ
أَهْلَةٌ فِي فَمِنَا الْمُخْتَلِقِ!

يَا نِزَارَ الْحُبِّ يَكْفِيكَ غِنَى
أَنْ تَمُرَّ الْآنَ مِثْلَ الرَّمَقِ

كُلُّ بَيْتٍ عَرَبِيٌّ نَفْحَةٌ
مِنْكَ فِيهِ سَرِيانَ الْحَبَقِ

الذِي يَأْرَقُ مِنْ فَرْطِ الْجَوَى
فَأَلَهُ مِنْكَ شَرِيكَ الْأَرْقِ

والذي، أو والتي يُقْلَقُهَا
هَاجِسٌ، تَسْبِقُهَا فِي الْقَاسِقِ

والذي خَانَ هَوَاهُ الْفُؤُةُ
قَبْلَهُ تَشْهَقُ إِنْ لَمْ يَشْهَقِ

مَرَّةً يَشْرِقُ أَصْحَابُ الْهَوَى
بَيْنَمَا أَنْتَ أَيْدُ الشَّرْقِ
كُلُّ حُبٍّ أَنْتَ فِيهِ شَاهِدٌ
وَشَرِيكٌ فِي الْأَسَى وَالرَّنَقِ!

أَنَا أَدْرِي أَنَّهَا مَجْمَرَةٌ
كُلُّ مَنْ يَعْلَقُ بِالشُّعْرِ شَقِي
رَبِّمَا يَذْبَحُنَا فِي لِحْظَةٍ
بَيْتُ شِعْرِ بِنَقَاءِ الْفَلَقِ!
إِنَّ حَرْفًا بِالْهَوَى مُحْتَرِقًا
عِدْلُ حَرْفٍ بِاللُّظَى مُحْتَرِقِ
لَيْتَ هَذَا الْكُونَ يَغْدُو كُلَّهُ
عَاشِقًا لَا غَارِقًا فِي الْعَلَقِ!



ڪالبحر صوتڪ..

ألقىت في حفل أربعينية محمود درويش
في دمشق

قيلَ لي جئتَ بغدادَ مِن قِبلِ يَوْمَينِ محمود
لم أصدِّقْ،

فَمَا رَنَّ فِي مَكْتَبِي جَرَسُ التَّلْفُونِ
وَلَا قَالَ..

ثُمَّ تَنَبَّهْتُ..

كَيْفَ؟..

وَبغدادُ ما عادتُ الآنَ؟!..

وَلَا رَنَّ؟..

قالوا بلى،

جَرَسٌ يُشْبِهُ الْمَوْتَ

رَدَدَ .. محمود

وانقَطَعَ الصَّوْتُ

صَدَّقْتُ شَكِّي

بَغْدَادُ مَا عَادَتْ الْآنَ بَغْدَادُ

وَصَوْتُكَ مَحْمُودُ يَنَآيُ

تُتَابِعُ كُلَّ الْعَصَافِيرِ أَمْوَاجَهُ

وَهِيَ تَبْكِي ..

كَالْبَحْرِ صَوْتُكَ يَا مَحْمُودُ يَا تِينِي

هَدِيرُ أَمْوَاجِهِ يَبْرِي شَرَايِينِي

كَالْبَحْرِ .. أَسْهَرُ طَوْلَ اللَّيْلِ أَرْقُبُهُ

يَنَآيُ، فَيَنْشُرُنِي دَمْعاً وَيَطْوِينِي

وَأَنْتَ تُوْغِلُ فِي الْمَجْهُولِ أَشْرَعَةً
مُحَمَّاتٍ بِأَلْفِ الدَّوَابِّ
طَوَيْتَهَا مُوجِعاً، وَالْعُمَرَ أَجْمَعَهُ
لَمْ تُبْقِ مِنْهَا هُنَا غَيْرَ الْعَنَّاوِينِ
وَنَبْضَةً عَلِقْتَ تَبْكِي بِزَاوِيَةٍ
فِي أَرْضِ غَزَّةَ بَيْنَ الْمَاءِ وَالطُّيْنِ
أَكَادُ أَسْأَلُ مَنْ مَنَّا أَمْضُ أَسَى
أَنَا الْعِرَاقِيُّ، أَمْ أَنْتَ الْفِلَسْطِينِي؟!

عِشْرِينَ عَاماً تَأْخِينَا عَلَى دَمِنَا
نَجْرِي بِهِ نَارِزِفاً بَيْنَ السَّكَاكِينِ
كُلُّ الْمَعَابِرِ خَضَّ بِنَا مَدَارِجَهَا
مِنْ يَوْمِ ذِي قَارِ حَتَّى يَوْمِ حِطِّينِ

مؤمّلين الصغار الواثقين بنا
ببعث مجد مدي التاريخ مدفون
تري أحسنتم يا أنتما وجعاً
أم رحتما حطباً بين الكوانين؟!

عشرين عاماً طويناها على عجل
نموت ما بين تشرين وتشرين
حتى ذويّنا .. وهذا أنت رحت سني
أمّا أنا، فلاي الليل تبقيني؟!

يا أقرب الناس من جرحي ومن وجعي
كم ضجّ ياسي، وكم حاولت تطميني؟
كل المرابد كناً في مجامرهما
وأخوة الشعر بين الحور والعين

وكنت تُوري لِيَا لِيهِمْ مُشَاكِسَةً
فِيَضْحَكُونَ، وَلَكِنْ ضِحْكٌ مَغْبُونٌ!
مَا جِئْتَ بَغَدَادَ إِلَّا وَالنَّخِيلُ لَهُ
مِمَّا شَدَوْتَ نَزِيفٌ فِي الْعَرَاجِينِ!
وَلَا انْقَضَى مَرِبِدٌ يَوْمًا حَضَرْتَ بِهِ
إِلَّا وَأَنْتَ حَبِيبٌ لِلْمَلَايِينِ
وكنتُ محموداً أُدْنِي مِنْكَ مَجْمَرَتِي
وكنتُ، مُحْتَفِياً بِالْجَمْرِ، تُدْنِينِي
حِيناً تَوَاحِي الْمَاسِي بَيْنَ أَحْرُفِنَا
وَيَفْعَلُ الْحُبُّ بَيْنَ الْحِينِ وَالْحِينِ
حَتَّى لِيَكْتُبَ كُلُّ وَجَدٍ صَاحِبَهُ
لَأَنَّهُ بِشَجَاهُ جِدِّ مَسْكُونِ!

هذي القصيدة شعري.. أمس عشت لها
وعشت فيها.. وكادت أن توافيني
كتبت لها أنت.. قل لي كيف تسبقني
إلى دمي، مستحماً في براكيني؟!

محمود.. تذكر هذا..؟؟.. قُلتُه علناً
وأنت تَرجفُ حتى كدت تُبكييني
وكان أول يومٍ للقاء لنا
والآن.. ما زلت حتى الآن تشجيني
ما زلت تُوقِظُ أوجاعي فتلهمني
وتوقدُ الجمرَ حتى في رياحيني
يا عنفوان فلسطين بأجمعها
ويا فجيرة أهلي في فلسطين

بَلْ يَا فَجِيعَةَ كُلِّ الشُّعْرِ فِي وَطَنِي
وَالنَّحْلِ، وَالْأَرْزِ، وَالزَّيْتُونِ، وَالتَّيْنِ
وَيَا فَجِيعَةَ حَتَّى الطَّيْرِ، أَعَذَّبَهَا
شَدَّوًّا.. فَجِيعَةَ أَسْرَابِ الْحَسَّاسِينَ
تَحُومُ حَوْلَكَ.. تَبْكِي.. مَحْضَ أَجْنَحَةٍ
مُرْفَرَفَاتٍ، بِصَمْتٍ جِدِّ مَطْعُونٍ!
هَلْ كُنْتُ أَبْكِي.. أَمْ إِنَّ الرِّيحَ تَسْمَعُنِي
نَحِيبَهَا بَيْنَ أَوْرَاقِي، وَتُوصِينِي
أَنْ لَا أَمِيلَ عَلَى قَوْمِي فَأَسْمِعَهُمْ
نَعْيَ مُحَمَّدٍ؟.. يَا شَمَّ الْعَرَانِينَ
مُحَمَّدُ مَاتَ.. فَأَنْتُمْ يَا عُمُومَتَهُ
مِنْ صَوْتِهِ فِي مَلَاذٍ جِدِّ مَأْمُونٍ!

ما عادَ يُقلِّقُكُمْ، لكنَّ سَيتركُكُمْ
مَدَى المَدَى سُبَّةً بَيْنَ الدَّوَابِّينِ!

ها قد دَنَوْتُ لأوكارِ الشَّيَاطِينِ
محمود.. إنَّ تَهتُ دَعَّ مَسْرَاكَ يَهْدِينِي!

ما كانَ أَجْدَرَ في هذِي القَصِيدَةِ أن
أنأى بِهَا عن نِضَايَاتِ الدَّهَاقِينِ
وَأَن أنزَهُ يَوْمًا أنتَ غُرَّتَهُ
عن أن يُشَابَّ بِذِكْرِ العَيْبِ والدُّونِ
لكنَّهُ وَجَعِي.. أبقى أُمُجُّ لَه

دَمًا وَجَمْرًا، وَشِعْرِي مِن قَرَابِينِي

هذِي مَذَابِحُ أهْلِي، وَهِي مَذْبَحَتِي
أنا الذَّبَّيْحُ وَأَعْمَامِي سَكَاكِينِي

أَمَّا زَوَاحِفُ أَمْرِيكَ فَقَدْ عَبَّرَتْ
إِلَى مَن دُورِ هَاتِيكَ الثَّعَابِيْنَ
وَبَيْنَهَا مَن بَنَى أَعْمَامِنَا عَرَبٌ
مُّبْطِئُونَ بِحَسْقِيْلٍ وَرَابِيْنَ!
وَأَنْتَ خَمْسِيْنَ عَامًا كُنْتَ تَصْرُخُ فِي
وَدْيَانِهِمْ، فَتُتْنِي أَلْفَ أَمِيْنَ
حَتَّى إِذَا اسْتَأْنَسُوا أَبْصَرْتَ أَيْدِيَهُمْ
كَلًّا بِهَا خَنْجَرٌ مِّنْ صُنْعِ صَهِيوْنَ!
وَحَقُّ مَوْتِكَ يَا مَحْمُودُ، وَهُوَ دَمٌ
ذِمَامُهُ حَوْلَ أَعْنَاقِ الْمَلَائِيْنَ
وَإِنِّي وَاحِدٌ مِنْهُمْ، فَلَوْ خَفَرْتَ
عَيْنِي أَقُولُ لَهَا: عَن مَّحْجَرِي بَيْنِي!

عَمَى لَهَا .. كَانَ أَوْلَى أَنْ نَمُوتَ مَعَاً
مِنْ أَنْ تُدَجِّنَ أَوْ تَرْضَى بِتَدَجِينِ!

سَنَلْتَقِي ذَاتَ يَوْمٍ .. سَوْفَ تَسْأَلُنِي
مَاذَا تَرَكْتَ؟ .. وَأَحْكِي .. سَوْفَ تُعْطِينِي

وَسَامَ أَنْ أَتْبَاهِيَ زَاهِيَاً بِدَمِي
لَأَنَّهُ لَمْ يَصِرْ مَاءً لِيَحْمِينِي!

تُرَى أَوْفَيْتُ أَحْزَانِي مَدَامَعَهَا؟
وَقَدْ تَجَاوَزْتَ سِتِّيَّيْنِي وَسَبْعِيَّيْنِي؟

هُمَا إِبَائِي وَشِعْرِي صُنْتُ زَهْوَهُمَا
حَاشَاكَ مَحْمُودُ يَوْمَاً أَنْ تُوَاسِينِي!

أَنَا حَمَلْتُ جِرَاحِي مُنْذُ كُنْتُ فَتَىً
عَلَى الْمَنَابِرِ، أَوْ بَيْنَ الزَّنَازِينِ

وَأَنْتَ، قَلْبُكَ.. هَلْ أَحْسَنْتَ عَشْرَتَهُ
أَمْ كُنْتَ تَحْمِلُهُ حَمَلَ الْمَطَاعِينَ؟
وَكَانَ مَا بَيْنَنَا عَشْرًا سَبَقْتُ بِهَا
وَهَا أَنَا الْآنَ أَسْعَى لِلثَّمَانِينَ
تُرَى أَأَثَقَلَنِي عُمْرِي فَأَبْطَأَنِي
وَأَنْتَ أَسْرَعْتَ فِي سَبْعٍ وَسِتِّينَ؟!



يا شاديَ الأيك..

ألقىت في الحفل الكبير الذي أقيم في
دمشق، في ذكرى بدوي الجبل.

أَكْبَرْتُ مَغْنَاكَ أَنْ يَذْوِيَ كَمَغْنَانَا
يَا شَادِي الْأَيْكَ عُمَرَ الْأَيْكَ مَا هَانَا
يَبْقَى النَّدَى مَا بَدَا لِلضَّوِّءِ مِنْهُ مَدَى
يَجْرِي إِلَيْهِ، وَيَبْقَى الْأَيْكَ سُلْطَانَا!
وَأَنْتَ يَا سَيِّدِي نَاجِيَتَهُ مَلَكًا
فَرَفَرَفَ الشَّجَرُ الْمَذْهُولُ هَيْمَانَا
غَلْغَلَتْ صَوْتِكَ فِي الْأَنْسَاغِ يُوقِظُهَا
حَتَّى تَفْتَحَتْ الْأُورَاقُ آذَانَنَا!

أَسْرَجَتْ فِي الْغَيْمِ بَرْقَ الشُّعْرِ أَجْمَعَهُ
وَحِينَ أَمَطَرْتَ مَا جَ الْكُونُ أَلْحَانَا!
تُرى أَعْنَيْتَ، أَمْ رَتَّلْتَهَا صُحُفًا
تَنْثَالُ مِنْ مَلَكُوتِ اللَّهِ أَوْزَانَا؟
مَلَأْتَ أَنْهَارَ كُلِّ الْأَرْضِ أَشْرَعَةً
وَقُلْتَ لِلْمَاءِ: كُنْ يَا مَاءُ طُوفَانَا
وَجِئْتَ بِالْوَحْيِ آيَاتٍ مُعْطَرَةً
سَأَلْتَ بِهِنَّ فَجُنَّ الْمَاءُ سَكْرَانَا!
طُوبَاكَ وَالْأَيْكَ قَدْ أَهْدَاكَ بِهِجَتَهُ
نَحْنُ امْتَحِنًا بِهِ وَرَدًّا وَأَغْصَانَا!
مُحَمَّدَ بْنَ سُلَيْمَانَ.. وَأَيُّ رُؤْيٍ
لِلْوَحْيِ مَوْسَقَّتَهَا مَوْجًا وَشُطَانَا؟

سُبْحَانَ رَبِّكَ هَلْ دَاوُدُ خُصَّ بِهَا
هَذَا الْمِزَامِيرُ أَمْ خُصَّتْ سُلَيْمَانًا؟
فَحَاشَئِهَا لِابْنِهِ.. تَلْهُوَ أَصَابِعُهُ
بِهَا.. مَلَائِكَةٌ يُوقِظُنَّ شَيْطَانَنَا!

يَا سَيِّدِي.. يَا نَدِيَّ الْحَرْفِ تَقْدَحُهُ
جَمْرًا، وَيَبْقَى عَلَى الْأَوْجَاعِ نَدِيَانَا
كَأَنَّ حَرْفَكَ، مِمَّا فِيهِ مِنْ وَهَجٍ
وَحُضْرَةٍ، نَبْعُ مَاءِ أَشْمَسِ الْآنَا!
كَأَنَّهُ، وَجَنَاحُ الْوَحْيِ يَحْمِلُهُ
نَجْمٌ يُشْعِشِعُ فِي الظُّلْمَاءِ نَشْوَانَا
وَنَحْنُ يَا سَيِّدِي أَوْرَاقُنَا اخْتَنَقَتْ
مِمَّا نَمُجُّ بِهَا دَمْعًا وَدُخَانًا

رِقَابُ أَحْرَفِنَا مَلَوِيَّةٌ أَبَدًا
فَوْقَ السُّطُورِ، فَتَخْشَاهَا وَتَخْشَانَا
صِرْنَا كِلَانَا نَخَافُ السُّطْرَ نَكْتُبُهُ
أَنْ يَسْتَفِيقَ، فَتُغْضِي عَنْ نَوَايَانَا!
فَنَحْنُ نُخْفِي، وَتُخْفِينَا قَصَائِدُنَا
تَحْتَ الرُّمُوزِ.. وَتَنْسَاهَا وَتَنْسَانَا!

سَبْعِينَ عَامًا طَوِينَا نُسْتَفْزُ دَمًا
فَتَمَلُّ الأَرْضَ أَرْحَامًا مَنَايَانَا
يَلِدُنَ لِلثَّارِ أَزْكَى وَارِثِي دَمِنَا
إِذْ نَحْنُ فِيهَا ظُبًّا أَلْبَسْنَا أَكْفَانَا!
تَبْقَى الْقُبُورُ وَوِلَادَاتٍ مُوَجَّأَةً
مَادَامَ فِيهَا كِبَارُ الهَمِّ سُكَّانَا!

سَبْعِينَ عَامًا، وَتَدْرِي السُّوحُ أَجْمَعُهَا
أَنَا أَقْمِنَا بِجُرْفِ الْمَوْتِ مَرْسَانَا
أَبْهَى أُوَيْلَادِنَا كَانُوا بِهَا شُهَبًا
تَهْوِي وَأَرْكَانُهَا تَهْتَزُّ أَرْكَانَا
وَالآنَ صِرْنَا نَخَافُ الْحَرْفَ نَكْتُبُهُ
وَنَتَّقِي قَبْلَ كُلِّ النَّاسِ قُرْبَانَا!
يَا لَيْتَ تِلْكَ السِّنِّينَ الْغُرَّ مَا سُقَيْتَ
وَلَيْتَ ذَلِكَ النَّزِيفَ الْمُرَّ مَا كَانَا!

يَا سَيِّدِي الْبَدَوِيِّ الْكَرْبُ زَلَّزَلَنِي
هَبْ هَذِهِ الْكَلِمَاتِ الْعُرْجَ سَيِقَانَا
لَعَلَّنِي بِشَرَايِينِي، عَلَى عَرَجِي
أُقِيمُ مِنْهَا لِبَعْضِ النَّاسِ مِيزَانَا

أَقُولُ لِلْمُحَدِّقِينَ الْآنَ بِي عَرَبِيًّا
أَخْرَاكُمْ اللَّهُ أَعْمَامًا وَإِخْوَانًا
بِلَادِكُمْ كُلَّهَا حُزَّتْ حَنَا جِرْهَا
وَمَا تَزَالُونَ لِلْجَلَادِ أَعْوَانًا!
أَقُولُ إِنَّ بَنِيكُمْ يَسْأَلُونَ غَدًا:
أَبَاؤُهُمْ أَيْنَ كَانُوا مِنْ رَزَايَانَا؟
مَاذَا نَقُولُ لَهُمْ؟ .. كَانُوا سَمَاسِرَةً
لِلْمُعْتَدِي؟ .. بِأَخْسَ الْبَيْعِ أَثْمَانًا؟!
مَاذَا نَقُولُ؟ .. غَزَّتْنَا مِنْ مَنَازِلِكُمْ
هَذِي الْأَفَاعِي الَّتِي هِيضَتْ بِمَأْوَانَا؟
وَأَنْتُمْ، لَا يَبِيلُ اللَّهُ رِيْقَكُمْ وَ
بِيوتِكُمْ صِرْنَ لِلْغَازِينَ أَوْطَانًا؟

وَأَنَّ مَجْمَعَةَ شَاعِرٍ مَدَاخِنُهَا
مِنْ كُلِّ أَيْبَاتِكُمْ يَنْفُتْنَ دُخَانًا
غَدًا تُشَبُّ بِأَرْضِ الْعُرَبِ أَجْمَعِهَا
وَتَعْتَلِي شَفْعَةَ الْإِسْلَامِ نِيرَانًا؟
مَاذَا نَقُولُ إِذَا كَانَتْ كِرَامَتُكُمْ
تَبْكِي عَلَى قَدَرِهَا مِنْ فَرَطٍ مَا هَانَا!
صِرْتُمْ تَغِيظُ أَذَلَّ النَّاسِ ضِحْكُكُمْ
مَا قِيلَ عَنْ وَاحِدٍ مِنْ بَيْنِكُمْ: خَانَا!
كَأَنَّهَا نُكْتَةٌ تُسْتَضْحَكُونَ بِهَا
هَلْ أَصْبَحَتْ لُغَةُ الْإِذْلَالِ إِدْمَانًا؟
أَمْ زَادَ قَدْرُكُمْ فِي الذُّلِّ مَرْتَبَةً
إِذْ صِرْتُمْ الْآنَ خُدَمَاءَ وَعُبدَانَا؟

يا سيدي عذر صوتي أن يمحّ دماً
صيرنا نُجَدِّفُ حَدَّ الكَفْرِ أحياناً
فَأَيُّ أَسْتارِنَا لِأَنَّ ما هُتِكتْ؟
وَأَيُّ أَقْطارِنَا لِأَنَّ ما عانى؟
ها ساحةُ العُربِ والإسلامِ مَذْبَحَةٌ
وَهَا دِمَشقُ تُبَاكِي الآنَ بَغداناً
صَرَخُ هَوَى لا نَخوناً فِيهِ مُعْتَصِماً
ولا نَدَبِنا، ولو بِالْهَمْسِ، مَرواناً
ولا صَرَخِنا كَما المَطْعونُ يَصْرُخُ مِن
أعماقِ طَعْنَتِهِ كِبِراً وَنُكراناً
لكن نُنَمِّقُ حَدَّ اللَّمَعِ صَرَخَتِنا
وَقَد نُرَقِّقُ حَدَّ الدَّمْعِ شَكواناً

صرنا أذلُّ الورى يبري عصاه لنا
ونحن نَبِسِمُ إِشْفَاقاً وإذ عانا
أفديك يا سَيِّدِي إِذْ قَلتَ مُنْذَبِحاً
[تَأْتِقَ الذُّلُّ حَتى صارَ غُفْراناً]

يا سَيِّدِي البَدَوِيَّ الآنَ يَشْفَعُ لِي
هَذَا النِّزِيفُ بِأَنَّ آتِيكَ ظَمَّاناً
أقولُ جَفَّتْ مِياهُ العُرْبِ أَجمَعُها
وأنتَ أَحْفَلُها بِالماءِ ودياناً
فَهَبْ فَمِى رَشْفَةً مِمَّا زَخَرَتْ بِهِ
مَدَى حَيَاتِكَ أَنهاراً وَغُدراناً
لَعَلَّنِي، وَلَظَى بِغِدادَ يَنْظُرُ لِي
أَجْرِي وَلَوْ جَدولاً فِي جَمْرِهِ الأنا

لَعَلَّ صَوْتِي يعلو فِي مَنَائِرِهَا
بِبَعْضِ صَوْتِكَ إِنجِيلاً وَقُرْآنَا
يُقَبَّلُ النَّاسَ إِنْسَاناً فَإِنْسَانَا
وَيَحْضُنُ الدُّورَ أَبواباً وَجُدْرانَا
يَقُولُ دَفْقَةُ ماءٍ مِنْ دَمَشَقٍ أَتَتْ
تَسْقِيكُمْ الآنَ عَطِشانَا فَعَطِشانَا
تُبَلِّسُ الرُّوحَ حَتَّى تَسْتَفِيقَ بِهَا
تلكَ المِروءاتُ غَنَّاهُنَّ أَزمانَا
إِذْ ذاكَ يا سَيِّدِي يَغْضُوبُ بِأَعْيُنِنَا
مُحَمَّدُ بْنُ سُلَيْمانِ سُلَيْمانَا!



هَبْهَا دُعَاؤَكَ

إلى روح الشاعر الكبير السيد
مصطفى جمال الدين.
ألقيت في دمشق في الاحتفال
بالذكرى الثانية عشرة لرحيله.

هَبَّهَا دَعَاءَكَ، فَهِيَ لَا تَتَذَكَّرُ
مِنْ فَرَطٍ مَا اشْتَبَكَتَ عَلَيْهَا الْأَعْصُرُ^(*)
وَأَعِدْ نِدَاءَكَ مَرَّةً أُخْرَى لَهَا
فَلَعَلَّ عَبْرَتَهَا بِهِ تَتَكَسَّرُ
وَلَعَلَّهَا، وَهِيَ الذَّبِيحَةُ، سَيِّدِي
بِمَهْيَبِ صَوْتِكَ عُرْيَهَا يَتَدَثَّرُ!

(*) في المطلع إشارة إلى قصيدة (بغداد) للسيد مصطفى جمال الدين: بغداد ما اشتبكت عليك الأعصر.

وَلَعَلَّ مَنْ وَثَبُوا عَلَى حُرْمَاتِهَا
نَزَوَاتُهُمْ بِجَلَالِهِ تَتَعَثَّرُ

هَبَّهَا جَمَالَ الدِّينِ صَوْتِكَ حَانِيًا
يَعْلُو، فَيَخْشَعُ مِنْ تَقَاهِ الْمُنْبَرِ!

فَعَسَى مَسَامِعُهُمْ، وَبَعَضُ قُلُوبِهِمْ
تَتَدَى بِهِ مِنْ قَبْلَمَا تَتَحَجَّرُ

وَعَسَاكَ تُدْرِكُ قَطْرَةً مِنْ مَائِهَا
أَوْ نَخْلَةً يَبْسُتُ تَعُودُ، فَتُثْمِرُ!

وَلَعَلَّ طَاعِنَهَا، وَأَنْتَ تَهْزُهُ
يَصْحُو، فَيَسْقُطُ مِنْ يَدَيْهِ الْخَنْجَرُ!

بِعِدَادِ أُخْتِكَ مُصْطَفَى، فَأَقِمِ لَهَا
أَنْتَ الصَّلَاةَ، لَعَلَّهَا تَتَأْتِرُ

بِعَمِيقِ وَجْدِكَ .. عَلَّ فِي شُطَّانِهَا
جُرْفًا تُلَامِسُهُ فَلَا يَتَقَطَّرُ!
فَلَقَدْ عَهَدْتُكَ وَالْمُرْوَةَ غَيِّمَةً
فِي صَوْتِكَ الْحَانِي تَهْلُ وَتَمَطِّرُ!
تَسْقِي الْهَوَى .. يَا رَبَّ عَوْسَجَةٍ بِهِ
بَقِيَتْ طَوَالَ حَيَاتِهَا تَخْضُوضِرُ!
صِفَةُ «الْجَمِيلِ» كَأَنَّ كُلَّ حُرُوفِهَا
تُنْمَى إِلَيْكَ، وَكُلُّهَا بِكَ تَرْهَرُ!
وَجْهًا، وَأَخْلَاقًا، وَعَمِّقَ مُرْوَةٍ
وَتَقَى .. وَأَعْظَمُهُنَّ أَنَّكَ تَأْسِرُ
بِوَدِيْعِ طَبْعِكَ، حَدَّ أَنْ مَحَبَّةً
تَنْسَابُ مَلَأَ الرُّوحَ حَيْثُ تَوْشِّرُ!

عُذْرًا أَبَا حَسَنِ .. هُمُومِي جَمَّةٌ
وَوَرِيْقُ غُصْنِكَ رَغْمَ نَائِكَ أَخْضَرُ
وَأَخَافُ مِنْ وَجَعِي عَلَيْهِ فَقَدْ مَضَتْ
عَشْرُونَ عَامًا بَيْنَنَا تَتَحَسَّرُ
أَنَا أَضَعْنَا فِي الْأَسَى أَعْمَارَنَا
وَالْحُزْنَ فِي أَعْمَاقِنَا يَتَجَدَّرُ
لَمْ نَلْتَقِ لِلْمُحَدِّقَاتِ بَيْتِنَا
وَالْمُحَدِّقِينَ بِهِ، وَأَيْنَ تَسْتَرُّوا
لَمْ نَسْأَلِ الْأَبْوَابَ عَنِ أَقْفَالِهَا
لَمْ نَدْرِ مَاذَا خَلْفَهُنَّ يُدَبِّرُ
وَإِذَا بِنَا، فِي لِيَالَتَيْنِ، مُبَاحَةً
حَتَّى مَحَارِمُنَا لِمَنْ يَتَسَوَّرُ!

أَمَّا الدِّمَاءُ، فَلَوْ وَصَفْتُ أَقْلَهَا
لَجَرَّتْ دُمُوعُكَ فِي ضَرْحِكَ تَزْخَرُ!

هَذَا دَمُ الْفُقَرَاءِ يَنْزِفُ مُصْطَفَى
وَفَقِيرُهُمْ يَبْكِي عَلَيْهِ الْأَفْقَرُ!

هَذَا دَمُ الْعُلَمَاءِ.. مَنْ أَحَبَّتَهُمْ
ذُبِحُوا عَلَى مَرَأَى الْأَنَامِ وَسُفِّرُوا!

وَدَمُ الَّذِينَ كَتَبَتْ عَنْهُمْ أَنَّهُمْ
بَنَوْا الْحَضَارَةَ فِي الْعِرَاقِ، وَعَمَّرُوا!

دَمٌ هَوْلَاءِ يَسِيلُ، لَا دَمَ مَنْ غَزَا
وَحِذَاؤُهُ بَرِقَابِنَا يَتَأَمَّرُ!

يَا سَيِّدِي، بَغْدَادُ حَتَّى شَمْسُهَا
سَوْدَاءُ مِمَّا وَجَّهَهَا يَتَعَفَّرُ!

لا ماؤها ينساب، لا ظلماؤها
تتجاب.. لا إيسارها يتيسر
أما مواسم شعرها فجميعها
من بعد صوتك عارض لا يذكر!
عذراً أبا حسن، ومثلك عاذر
لغتي على وجعي، ومثلي يعذر
إننا تقاسمنا التشرذم.. عشته
قبلي، وها أنذا به أتعثر
لن أدعي أنني صبور في الأذى
بعض الأذى من كل صبر أكبر!
لكنه وطني يهياً نعشه
ليصير أوطاناً تضيع وتطمر

مِنْ أَجْلِ مَنْ ذُبِحَ الْعِرَاقُ، وَأَهْلُهُ
فِي كُلِّ أَرْجَاءِ الْبَرِّيَّةِ بُعِثُوا؟
مِنْ أَجْلِ مَنْ مَلِئُونَ طِفْلٍ شُرِدُوا
وَحَدَائِقُ السَّرَطَانِ فِيهِمْ تُزْهِرُ؟!
مِنْ أَجْلِ مَنْ يَا سَيِّدِي أَبَاؤُنَا
وَصِغَارُنَا مِنْ كُلِّ بَيْتٍ هُجِّرُوا؟
كُلُّ بَأْرَضٍ.. لَا أَبَا لِأَبِيهِمْ
الْيَابِسَاتُ نَأَتْ بِهِمْ وَالْأَبْحُرُ
وَلَمَنْ بَنَادِقُ أَهْلِنَا وَنَصَالُهُمْ
بَعْضٌ عَلَى أَعْنَاقِ بَعْضٍ تُشْهَرُ؟
أَفْهَذِهِ لُغَةُ الْعَدَالَةِ مُصْطَفَى
جَاءُوا بِهَا لِيُقَوِّمُوا، وَيَحَرِّرُوا؟

لَتَنَامَ إِسْرَائِيلُ مِلَّةَ جَفُونِهَا؟
وَكَلَابُهَا فِي أَرْضِنَا تَتَبَخَّرُ؟
لَتُقِيمَ أَمْرِيكََا بَعْقَرِ بِيوتِنَا
وَنَظْلُ نَحْنُ لَهَا خِرَافًا تَتَحَرُّ؟
أَفَلَمْ يَكُنْ إِلَّا نَزِيفُ دِمَائِنَا
سُقِيَا لَكِي يَنمو الخَرَابُ الأَكْبَرُ؟!

عَفَوَا ابْتِسَامَتِكَ الَّتِي أُدْرِي بِهَا
حَتَّى بِأَقْسَى المُوْجِعَاتِ تُتَوَرُّ
أَنْتَ الإِمَامُ السَّمْحُ، وَالْعَلْمُ الَّذِي
أَبْدَأَ مَعَالِمُ وَجْهِهِ تَسْتَبْشِرُ
مَا رَأَتْهُ مَنْ رَأَى، فِي أَوْجَاعِهِ
إِلَّا، عَلَى أَوْجَاعِهِ، يَتَنَدَّرُ!

يا صاحبَ القلمِ الأَحْسَنُ كأنَّهُ
تَبَكِّي السُّطُورُ عَلَيْهِ وَهُوَ يُسَطِّرُ
مِنْ فَرَطٍ مَا يَبْرِي حُشاشَتَهُ بِهَا
أَرَأَيْتُمْ قَلَمًا بِحَرْفٍ يُؤَسِّرُ؟!
لِلَّهِ دَرْكٌ مُصْطَفَى، وَمَبَارَكٌ
قَبْرٌ حَوَالِكَ، وَإِنْ تَكُنْ لَا تُقْبِرُ!



فِي رَحَابِ الْحُسَيْنِ

١٩٩٥

قَدِمْتُ، وَعَفْوِكَ عَنِ مَقْدَمِي
حَسِيرًا، أَسِيرًا، كَسِيرًا.. ظَمِي
قَدِمْتُ لِأُحْرِمَ فِي رَحْبَتَيْكَ
سَلَامٌ لِمَثْوَاكَ مِنْ مَحْرَمٍ!
فَمُذْ كُنْتُ طِفْلًا رَأَيْتُ الْحُسَيْنَ
مَنَارًا إِلَى ضَوْئِهِ أَنْتَمِي
وَمُذْ كُنْتُ طِفْلًا وَجَدْتُ الْحُسَيْنَ
مَلَاذًا بِأَسْوَارِهِ أَحْتَمِي

وَمُذْ كُنْتُ طِفْلاً عَرَفْتُ الْحُسَيْنَ
رِضَاعاً .. وَلِالآنَ لَمْ أُفْطَمِ

سَلَامٌ عَلَيْكَ فَأَنْتَ السَّلَامُ
وَإِنْ كُنْتَ مُخْتَضِباً بِالِدَمِّ!

وَأَنْتَ الدَّلِيلُ إِلَى الْكَبِيرَاءِ
بِمَا دَيْسَ مِنْ صَدْرِكَ الْأَكْرَمِ!

وَإِنَّكَ مُعْتَصِمُ الْخَائِفِينَ
يَا مَنْ مِنَ الذَّبْحِ لَمْ يُعْصَمِ!

لَقَدْ قَلَّتْ لِلنَّفْسِ: هَذَا طَرِيقُكَ
لَأَقِي بِهِ الْمَوْتَ كَيْ تَسْلَمِي

وَحُضَّتْ وَقَدْ ضُفِرَ الْمَوْتُ ضَفْراً
فَمَا فِيهِ لِلرُّوحِ مِنْ مَخْرَمِ

وما دارَ حولَكَ، بل أنتَ دُرَّتَ
على الموتِ في زردٍ مُحكَمِ
من الرِّفْضِ والكبرياءِ العظيمةِ
حتى بصُرتَ، وحتى عمي
فمَسَّكَ من دونِ قَصْدٍ فمات
وأبقاكَ نجماً من الأنجُم!

ليومِ القيامةِ يَبقى السُّؤالُ
هل الموتُ في شَكْلِهِ المُبهمِ
هو القَدْرُ المُبرمُ أَلَا يُردُّ
أم خادِمُ القَدْرِ المُبرمِ؟!

سلامٌ عليكَ حبيبَ النَّبِيِّ
وَبُرْعَمَهٗ.. طِبَّتْ من بُرْعَمِ

حَمَلْتِ أَعَزَّ صِفَاتِ النَّبِيِّ
وَقُزْتِ بِمَعْيَارِهِ الْأَقْسُومِ
دَلَالَةً أَنَّهُمْ وَخِيَّ رُوكَ
كَمَا خِيَّ رُوهُ، فَلِمَ تُتَلَّمِ
بَلِ اخْتَرْتِ مَوْتَكَ صَلْتِ الْجَبِينِ
وَلِمَ تَتَلَفَّتِ .. وَلِمَ تَتَدَمِ
وَمَا دَارَتْ الشَّمْسُ إِلَّا وَأَنْتِ
لِلْأَلْبَانِهَا كَالْأَخِ الثَّوَامِ!
سَلَامٌ عَلَى آلِكَ الْحُومِ
حَوَالِيكَ فِي ذَلِكَ الْمَضْرَمِ
وَهُمْ يَدْفَعُونَ بِعُورِي الصُّدُورِ
عَنْ صَدْرِكَ الطَّاهِرِ الْأَرْحَمِ

وَيَحْتَضِرُونَ بَكْبِرِ النَّبِيِّينَ
مَا غَاصَ فِيهِمْ مِنَ الْأَسْهُمِ
سَلَامٌ عَلَيْهِمْ.. عَلَى رَاحَتَيْنِ
كَشَمَسَيْنِ فِي فَأَلِكِ أَقْسَمِ
تَشْهُعُ بَطُونُهُمَا بِالضُّيَاءِ
وَتَجْرِي الدِّمَاءُ مِنَ الْمِعْصَمِ!

سَلَامٌ عَلَى هَالَةِ تَرْتَقِي
بِالْأَلْهَامِ مُرْتَقِي مَرِيمِ
طَهْوَرِ، مُتَوَجِّةٍ بِالْجَلَالِ
مُخَضَّبَةٍ بِالدَّمِ الْعَنَدَمِ
تَهَاوَتْ فَصَاحَةٌ كُلُّ الرَّجَالِ
أَمَامَ تَفْجُعِهَا الْمُلْهَمِ

فَرَا حَتَّ تَزْعَزُعُ عَرْشِ الضَّلَالِ
بِصَوْتِ بَأْوَجَاعِهِ مُفْعَمِ
وَلَوْ كَانَ لِلأَرْضِ بَعْضُ الحَيَاءِ
لَمَادَتْ بِأَحْرُفِهَا اليُتَمَّ!

سَلَامٌ عَلَى "الحُرِّ" فِي سَاحَتَيْكَ
وَمَقْحَمِهِ، جَلَّ مِنْ مَقْحَمِ
سَلَامٌ عَلَيْهِ بِحَجْمِ العَذَابِ
وَحَجْمِ تَمَزُّقِهِ الأَشْهُمِ
سَلَامٌ عَلَيْهِ.. وَعَتَّبُ عَلَيْهِ
عَتَّبَ الشَّغُوفِ بِهِ المَغْرَمِ!
فَكَيْفَ، وَفِي أَلْفِ سَيْفٍ لُجِمْتَ
وَعَمْرَكَ يَا "حُرُّ" لَمْ تُلْجَمِ!

وأحجمت كيف..؟.. وفي ألف سيف
ولو كنت وحدي لم أحجم
ولم أنتظـرهم إلى أن تـدور
عليك دوائـرهم يا دمي
لكنـت انتزعت حدود العراق
ولو أن أرسـانهم في فمي!
لغيـرت تـاريخ هذا التراب
فما نال منه بنو ملجم!
سلامٌ على "الحُرِّ" وعباً أضاء
وزرقاء من ليلها المظلم
أطلت على ألف جيلٍ يجيء
وغاصت إلى الأقدم الأقدم

فأدرِكتِ الصَّوتَ .. صوتَ النُّبُوَّةِ
وهوَ على موْتِهِ يَرْتَمِي
فما ساوَمَتْ نَفْسَها في الخَسارِ
ولا ساوَمَتْها على المَغْنَمِ
ولكنَّ جئتُ وجفونُ الحسِينِ
تُرفُ على ذلكِ المَجْثَمِ
ويا سيِّدي يا أعزَّ الرُّجالِ
يا مُشْرَعاً قَطُّ لم يُعْجَمِ
ويا بنَ الذي سَيفُهُ ما يزالُ
إذا قيلَ يا ذا الفقارِ احسِمِ
تُحسُّ مِروءةَ مَليونِ سَيفِ
سَرتَ بَينَ كَفِّكَ والمَحْزَمِ!

وتُوشِكُ أَنْ .. ثُمَّ تُرْخِي يَدَيْكَ
وَتُنْكِرُ زَعْمَكَ مِنْ مَزْعَمِ
فَأَيْنَ سَيُوفُكَ مِنْ ذِي الْفَقَارِ
وَأَيْنَكَ مِنْ ذَلِكَ الضَّيْغَمِ؟!

عَلِيٌّ .. عَلِيٌّ الْهُدَى وَالْجِهَادِ
عَظُمْتَ لَدَى اللَّهِ مِنْ مُسْلِمِ!
وَيَا أَكْرَمَ النَّاسِ بَعْدَ النَّبِيِّ
وَجْهًا .. وَأَغْنَى أَمْرِيءٍ مُعْدَمِ!
مَلَكَتِ الْحَيَاتَيْنِ دُنْيَا وَأُخْرَى
وَلَيْسَ بَيْتِكَ مِنْ دِرْهَمِ!
فِدَى لَخْشَوْعِكَ مِنْ نَاطِقِي
فِدَاءٌ لْجَوْعِكَ مِنْ أَبْغَمِ!

قَدِمْتُ، وَعَفْوِكَ عَنِ مَقْدَمِي
مَزِيجاً مِنَ الدَّمِّ وَالْعَلَقَمِ
وَبِي غَضَبٌ جَلَّ أَنْ أَدْرِيهِ
وَنَفْسٌ أَبَتْ أَنْ أَقُولَ أَكْظَمِي
كَأَنَّكَ أَيَقْظَتُ جُرحَ العِراقِ
فَتِيَّارُهُ كُلُّهُ فِي دَمِي!
أَسَتَ الَّذِي قَالَ لِلْبَاتِرَاتِ
خُذِينِي.. وَالنَّفْسِ لَا تُهْزَمِي؟
وَطَافَ بِأَوْلَادِهِ وَالسَّيُوفِ
عَلَيْهِمْ سِوَارٌ عَلَى مِعْصَمِ
فَضَّجَتْ بِأَضْعُغِهِ الكَبِيرِاءِ
وَصَاحَ عَلَى مَوْتِهِ: أَقْدِمِ!

كذا نحنُ يا سيِّدي يا حسين
شِدَادٌ عَلَى الْقَهْرِ لَمْ نُشَكِّمْ
كذا نحنُ يا آيةَ الرَّافِدِينَ
سَـوَاتِرُنَا قَطُّ لَمْ تُهْدَمْ
لئنْ ضَجَّ مِنْ حَوْلِكَ الظَّالِمُونَ
فإنَّا وَكَلْنَا إِلَى الْأَظْلَمِ
وإن خانك الصَّحْبُ والأَصْفِيَاءُ
فقد خاننا مَنْ لَهُ نَنَمِي!
بنو عَمَّنَا .. أَهْلُنَا الْأَقْرَبُونَ
وَاحِدُهُمْ صَارَ كَالْأَرْقَمِ
تَدورُ عَلَيْنَا عِيُونُ الذَّنَابِ
فَنَحْتَارُ مِنْ أَيِّهَا نَحْتَمِي!

لهذا وقفنا عُرة الجراح
كباراً على لؤمها الألام
فيا سيدي، يا سنا كربلاء
يُألئ في الحالك الأعتَم
تَشُع منائرهُ بالضياء
وتزفُ رب الوجع الملهَم
ويا عطشاً كلُّ جَدبِ العصور
سَينهلُ من ورده الزمزم
سأطبعُ ثغري على موطنك
سلاماً لأرضك من مآثم!



يا ماليء الدنيا دماً ومروءة

هَتَفَ الْبَشِيرُ فَقَبَّلَ ابْنَكَ يَا عَلِي
بِالْمَعْنَيْنِ: مُقَبَّلٌ وَمُقَبَّلٌ
تَدْرِي، وَيَدْرِي اللَّهُ قَبْلُ، وَجَدُّهُ
إِحْيَاءَ مَوْلِدِهِ بِيَوْمِ الْمَقْتَلِ!
طَرَفًا هِلَالٍ قَوْسُهُ عَرَضَ السَّمَاءِ
فِي الشَّمْسِ ذَاكَ، وَذَا بَلِيلٍ أَلْيَلِ
طَرَفًا هِلَالٍ مِثْلَ سَيْفٍ هَائِلِ
شَطَرَ السَّمَاءِ، وَظَلَّ يَصْرُخُ: يَا هَلِي

بِدَمِي فَصَلْتُ اللَّيْلَ عَنِ بَلَجِ الضُّحَى
كِي يَسْتَقِيمَ، فَيَا سَيُوفُ تَعَجَّلِي!

هَتَفَ الْبَشِيرُ، فَاقْبَلْ ابْنَكَ يَا عَلِي
هَنِيءٌ بِهِ الزَّهْرَاءُ فَهُوَ ابْنُ الْوَلِيِّ

هُوَ مَنْ عَلَى شَفَتَيْهِ رَفٌّ مُقْبِلًا
ثَغْرُ النَّبِيِّ.. حَنَا عَلَى الْوَجْهِ الْخَلِيِّ

وَتَكَادُ أَشْرَفُ دَمْعَةٍ مِنْ عَيْنِهِ
تَهْمِي، وَلَكِنْ عَيْنُهُ لَمْ تَهْمَلِ

جَدٌّ، وَلَكِنْ أَيُّ جَدٍّ مُرْسَلٍ
سَبَطٌ، وَلَكِنْ سَبَطُ جَدٍّ مُرْسَلٍ

وَهُوَ الْحَسِينُ، شَهِيدٌ أَشْرَفُ وَقْفَةٍ
هَذَا الزُّكِيُّ الْأَنْبَلُ بْنُ الْأَنْبَلِ

هذا الذي أسَرَ الزَّمانَ بموتهِ
وأقامَ عن أسْرِ الزَّمانِ بمَعزَلِ!

يا مائِ الدنيا دماً ومروءةً
ومُكبَّلاً في زيِّ غيرِ مُكبَّلِ

دارتْ عليه الدَّائِراتُ ولم يَكُن
فَرِداً، ولا كان الحُسينُ بأعزَلِ

كانتْ حُشاشَةٌ جَدُّه في صَدْرِهِ
ومِنِ اقْتدارِ أبِيهِ كان بجَحْفَلِ

لكنَّهُ القَدْرُ العَظِيمُ أرادَها
عِصْماءَ لم تُتَّامَ، ولم تَتَمَهَّلِ!

فاختارَها، واختارَهُ قَدراً لها
مُتَبَتِّلاً يَسْعَى إلى مُتَبَتِّلِ!

حتى إذا التقيَا تهَيَّبَ مَوْتُهُ
فهوى الحسينُ عليه مثلَ الأجدلِ!
هي ميتةٌ عدلَ الحياةِ بأسرها
أفلَ الزَّمانُ ونجمُها لم يَأفلِ!

يا يومَ ميلادِ الحسينِ، ولم نجدْ
إلاكَ ميلاداً بموتٍ يَخْتلي
فيكونُ هذا ذا، وتُصبحُ ميتةً
كولادةٍ، لكن بطعمِ الحنظلِ!
حتى تكادَ الأرضُ في ميلادهِ
تبكي، وتُعلنُ زهوها في المقتلِ!
هو مولدُ القيمِ العظيمةِ كلِّها
ونزولُها بالموتِ أعظمَ منزلِ!

قُلْ لِلنُّجُومِ بِكَرْبَلَاءَ تَرْجُلِي
وعلى منائره المهيبات انزلي
وخذني سنى منها لألف قادم
وخذني دموعاً للمجرة واهطلي
ألفاً، وقولي للعصور جميعها
هيهات.. أنتِ بمثله لن تحبلي!
من أين تجتمع النبوة مرة
أخرى بميقات السماء المنزل!
يوم الحسين، وإذ أنادي يومه
ميلاده ورحيله يثبان لي!
جنحي سنى ودم تحلق فيهما
نفس إلى فلك النبوة تعتلي

لِلَّهِ دَرْكٌ مَنْ وَلِيْدٍ بِاسْمِ
لِلَّهِ دَرْكٌ مَنْ شَهِيدٍ اَبْسَلِ!

وَلِدَ الْحَسَنِ فِيَا عِيُونُ تَكْحَلِي
مِنْهُ، وَيَا كَلَّ الْحَنَاجِرِ هَلْهَلِي

ثُمَّ اجْعَلِي الْاَجْفَانَ غَيْمَ مَدَامِعِ
وَتَذَكَّرِي عَطَشَ الْحُسَيْنِ فَبَلَّي!

وَلِدَ الَّذِي لَوْ جَادَبْتَهُ ضِيَاءُهُ
شَمْسُ السَّمَاءِ لَقِيلَ لِلشَّمْسِ اخْجَلِي!

وَمَنْ الْمَرْوَةُ بِيَدْرِ فِي بَيْتِهِ
وَلِكُلِّ اَهْلِ الْاَرْضِ حَبَّةٌ خَرْدَلِ!

وَلِدَ الَّذِي دُمُهُ اَعَزُّدَمِ جَرِي
لَوْلَا اَبُوهُ.. تَبَارَكَ اسْمُكَ يَا عَلِي!

أَنْجَبَتْهُ لِّلْمَكْرُمَاتِ جَمِيعِهَا
وَسَقَيْتَهُ مِنْهُنَّ نَفْسَ الْمَنْهَلِ
وَرَأَى فُرَّتَ بِهَا، فَفَازَ بِهَا فَتَى
بِوَرَكَتٍ مِنْ أَسَدٍ هَزَبٍ مُّشْبِلِ!

يَا يَوْمَ مِيلَادِ الْحُسَيْنِ وَهَبْتَ لِي
شَرَفَ الدَّخُولِ إِلَيْهِ أَجْمَلَ مَدْخَلِ
أَنْ أَلْتَقِيَهُ وَلَوْ لِيَوْمٍ وَاحِدٍ
فَجَرّاً بِهَيِّئاً لَّا دِمَاءَ مُجَنَّدَلِ!
أَفَكَلَّمَا ذُكِرَ الْحُسَيْنَ تَقَطَّعَتْ
أَحْشَاؤُنَا وَجَعاً وَصِحْنَا: يَا عَلِيّ؟
وَكَأَنَّ أَوْجَاعَ الْعِرَاقِ جَمِيعِهَا
إِرْتُ الْحُسَيْنِ فَتَاكِلُ عَنْ أَنْكَلِ!

يا سيدي، نفسي فِدَاكَ، أَجِزْ فَمِي
وَبَغَيْرِ هَذَا الدَّمْعِ أَنْطِقْ مَقُولِي
أنا راجفٌ جَزَعاً فَنَبَّتَ لِحْظَةً
قَلَمِي عَلَى وَرَقِي، وَتَبَّتْ أَنْمَلِي
وَأَملاً دَمِي فَرِحاً، وَوَجَدَانِي نَدِي
وَدَعَّ الْفُرَاتَ بِمَائِهِ الْمُتَوَسِّلِ
يَسْعَى إِلَيْكَ مُكْفِراً عَنْ ذَنْبِهِ
أَلْفٌ وَنَيْفٌ وَهُوَ أَوْجَعُ مُهْمَلِ
وَهُوَ الْفُرَاتُ.. لَوْ اسْتَطَاعَ أَوَانَهَا
لَأَتَاكَ مَفْجُوعاً بِمَاءٍ مُعْوَلِ
وَهَوَى عَلَى قَدَمَيْكَ يَسْقِي مَاءَهُ
مِنْ جَسْمِكَ الْبِدْمَائِيهِ مُتَسَرِّبِ

ليكونَ عندَ اللَّهِ شاهِدًا نَفْسِهِ
وَيُجِيبَ لَا مُتَلَعِّمًا إِن يُسْأَلَ!

هتف البشيرُ، فيا خَواْفِقُ رَتَّلِي
بالنَّبْضِ ما هتفَ البشيرُ، وبَسْمِلي
وبكلِّ أَرْضٍ يا مَرِوءَةَ زَغَرِدي
فاِذا وَصَلتِ لكَرِبِلاءِ فاعُولِي!



فِي رِجَالِ النُّجفِ الْأَشْرَفِ

١٩٩٢

شَرَفٌ لَيْسَ بَعْدَهُ شَرَفٌ
أَنَّكَ الْآنَ عَرْشُكَ النَّجَفُ
أَيْهَا الْمُسْتَفْزُ أَجْنَحَةٌ
فِي رِحَابِ الْكَرَّارِ تَرْتَجِفُ
شَرَفٌ أَنْ كُلَّ بَارِقَةٍ
أَوْ رَفِيفٍ مِنْ رَهْبَةٍ يَجِفُ
بِجَنَاحَيْكَ أَنْ خَفَقَهُمَا
لِعَلِّي بِالْحَبِّ يَعْتَرِفُ

شَرَفٌ لَيْسَ بَعْدَهُ شَرَفٌ
أَنَّكَ الْآنَ بَيْتُكَ النَّجْفُ
إِنْ تَكُنْ قَدْ وَقَفْتَ مُرْتَبِكاً
فَالنَّبِيُّونَ هَهُنَا وَقَفُوا
أَوْ تَكُنْ جِئْتَ نَازِفاً فَأَقِلْ
فَالنَّبِيُّونَ هَهُنَا نَزَفُوا
وَتَوَاضَعْ، فَكُلْ أُمْلَأَةً
هَهُنَا فَوْقَهَا دَمٌ يَكْفُ!
مِنْ عَلِيٍّ لِلْيَوْمِ هَاطِلَةٌ
تَحْتَهَا الرَّأْسِيَّاتُ تَخْسِفُ
فَاخْتَصِرْ إِنْ تَكُنْ أَتَيْتَ لَكِي
تُعْلِنَ الْحُزْنَ أَيُّهَا الْكَافُ!

عَجَبِي يَا حَسِينُ كَيْفَ هُنَا
لَيْسَ يَحْمَرُ لَوْنُهُ السَّعْفُ!
كَيْفَ تَبْقَى السَّمَاءُ صَاحِيَةً
هَكَذَا، وَالْغُصُونُ تَنْعَطِفُ
وَكَأَنَّ لَمْ يَكُنْ هُنَا مَطَرٌ
دَمُّهُ عَدْلٌ بَرَقَ يَلْفُ!

تُرْبَةُ الْأَنْبِيَاءِ يَعْصِمُهَا
أَنَّهَا الْآنَ فَوْقَ مَا أَصْفُ
كَلَّمَا أُمِّطَرَتْ زَهَتْ رُطْبًا
بَيْنَمَا حَمَلُ غَيْرِهَا حَشْفُ

سَيِّدِي يَا عَلِيُّ، مَعْذَرَةٌ
أَنَا مِنْ رَاحَتَيْكَ أَرْتَشِفُ

أَبْلَغُ الْقَوْلِ أَنْتَ سَيِّدُهُ
وَالْوَرَى مِنْ نَدَاكَ تَغْتَرِفُ
فَإِذَا مَا وَقَفْتُ مُضْطَرَباً
فَاعْذُرْنِ وَقَفَّتِي الَّتِي أَقِفُ
أَنَا نُصَبَ الْجَلَالِ أَجْمَعِهِ
لَيْتَنِي لِي بِظُلْمِهِ كَنْفُ
لَيْتَ مَاءَ الْفُرَاتِ يُصْبِحُ لِي
أَدْمُعاً فِي تَرَاكٍ تَذْرِفُ
أَيُّهَا الْحَاسِرُ الَّذِي أَبَدَاً
بِشِغَافِ الْقُلُوبِ يَلْتَحِفُ
أَيُّهَا الْجَاسِرُ الْمَضَارِبُهُ
كُلُّ لَيْلٍ بِهِنَّ يَنْكَشِفُ

أَيُّهَا الْأَسِيرُ الْأَسِيرُ تُقَى
لَيْسَ إِلَّا اللَّهُ يَزِدُكَ
هُوَ فَجْرُ الْإِسْلَامِ.. أَعْظَمُهُ
أَنَّه ذَلِكَ الْفَتَى الْأَنْفُ
الَّذِي عَنْهُ فَاتِحاً يَدَهُ
نَزَلَتْ مِنْ سَمَائِهَا الصُّحُفُ
وَالَّذِي مِنْهُ قَابِضاً يَدَهُ
شَعَفَاتُ الْقُلُوبِ تَنْشَعِفُ
وَالَّذِي مِنْ دُعَائِهِ انْفَطَرَتْ
بَابُ رَبِّي، وَانْجَابَتْ السُّجُفُ
الَّذِي لَوْ تَمَسُّ غَيْرَتَهُ
جَبَلًا قَلْتُ سَوْفَ يَنْخَسِفُ

والذي سَيفُهُ النُّفُوسُ بِهِ
قَبْلَ خَطْفِ العَيُونِ تَتَخَطَفُ
والذي إِذْ تَلَوَّحَ غُرَّتُهُ
كُلُّ شَمْسٍ فِي الكَوْنِ تَنكَسِفُ
هُوَ فَجْرُ الإِسْلَامِ.. لَوْلَاهُ
أَلَهُ، وَالْعَوَالِمُ الصَّادِفُ

يا ابنَ عَمِّ النَّبِيِّ لُطْفِكَ بِي
وَأَجْزَنِي، فَالليلُ يَنْتَصِفُ
وَأَنَا لَمْ أزلْ أرى قَلَمِي
وَيَدِي وَالسَّطُورَ تَرْتَجِفُ
أَنَا فِي حَضْرَتِكَ.. شَاخِصَةً
نُصِّبَ عَيْنِي هَذَا، وَذِي تَرَفُ

فِي ضُلُوعِي.. مُذْ كُورَتْ قَفْصاً

وَضُلُوعِي عَلَيْكَ تَعْتَكِفُ!

فَأَقْلَنِي إِذَا كَبَّوتُ هُنَا

مِنْ خَشُوعِي.. وَتَعَذَّرُ النَّجْفُ!



يا نَجِيَّ اللهُ!

ألقيت في الاحتفال المهيب الذي أقيم في
النجف الأشرف بمناسبة الذكرى الثمانينية
للشاعر والفقيه والمجاهد السيد محمد
سعيد الحبوبي في ١٢/١٢/١٩٩٧ .

أَعْفُ عَنِّي وَاقْضَا بَيْنَ يَدَيْكَ أَيُّهَا الْمَشْرِفُ مِنْ عَالِي الذُّرَا
أَنَا مِنْ أَرْضِي هُنَا أَرْتُو إِلَيْكَ بَيْنَمَا أَنْتَ سَمَاءٌ لَا تُرَى!

هَكَذَا طَيْفُكَ لِي لَيْلًا بَدَا

مِثْلَ نَجْمٍ لَفَّهُ غَيْمُ الرَّدَى

وَتَلَلَا ضَوْوَهُ رَغْمَ الْمَدَى

مَالئًا عَيْنِي بِوَمَضِيٍّ مُقَلَّتَيْكَ مَالِكاً قَلْبِي، دَرَى أَوْ مَا دَرَى
أَنَا طِفْلاً كُنْتُ هَيْمَانَ عَلَيْكَ مُنْذُ أَنْ تَبَعَكَ فِي قَلْبِي جَرَى!

مُدَّ « غَزَالِ الْكَرْخِ وَالكَأْسِ الْهَنْيِ »

وَرَجَا صَاحِبَهُ عَبْدَ الْغَنِيِّ

« اسْقِنِي وَاشْرَبْ أَوْ اشْرَبْ وَاسْقِنِي »

مُنْذُهَا، وَالشَّعْرُ يُدْنِينِي إِلَيْكَ مَانِعاً عَنِ مَقْلَتِي طَيْفَ الْكَرَى

كَيْفَ أَعْتَى لُغَةَ الضَّادِ لَدَيْكَ تَسْتَوِي نَبْعاً وَتَجْرِي أَنْهْرًا!

يَا نُدَى الْحَرْفِ وَيَا حَرْفَ النُّدَى

وَيَدَ الْحَقِّ جِهَاداً وَهُدَى

أَنْتَ كُنْتَ الصَّوْتِ وَالِدَهْرُ صَدَى

وَالْمُرُوءَاتُ نَمَتْ فِي رَحْبَتَيْكَ سَارِيَاتٍ حَيْثُ مَرَقَاكَ سَرَى

أَيُّهَا الْعَابِدُ طَاطِيءٌ عَارِضِيكَ قَلَّ أَنْ مِثْلَهُمَا مَسَّ التُّرَى!

يا إمامَ الحُبِّ، ثمَّ الغَزَلِ
يا مَنْ التَّقوى بِهِ تَقوى وَلِي
سَيِّدِي أَفديكَ هَلَّا قُلْتَ لِي

كَيْفَ إِذْ تَحْنِي خَشوعاً مَنْكَبِيكَ يَنْحني خَلْفَهُمَا كُلُّ الْوَرَى
بَيْنَمَا الْفِتْنَةُ تَغزُو نَاطِرِيكَ «قَمراً تَمّاً، وَظَبياً أَعْفَراً»!

زَعَمُوا أَنَّكَ لَمْ تَعشَقْ، وَلَمْ ..
وَهُمُّوا أَرْبابُ حَرْفٍ وَقَلَمٍ
تَرَبَّتْ أَقلامُهُمْ .. هَذَا الْأَلَمُ

وَالجوى هَذَا الَّذِي فِي جَانِحِيكَ هَذِهِ الْأَوْجاعُ .. كَانَتْ بَطْراً!
أَمْ هُمُوما فَهَمُوا إِغْضَاءَتِيكَ هَذِهِ تَقوى، وَهَذِي حَقْراً!

مَنْ يَقُلْ عَنِ سِرِّ غِزْلَانِ سَنِي

«يَتَّبَعْنَ الْهَنَّ وَقَدْ يَعْرِفَنِّي»

«وَهُوَ فِيهِنَّ غَضِيضُ الْأَعْيُنِ»

إِنَّ مَنْ يَرُصِدَ مَا فِي نَظْرَتَيْكَ مِنْ وُلُوعٍ فِي خُشُوعٍ أُسِرَا

يَفْهَمُ الْجُرْحَ الَّذِي فِي بُرْدَتَيْكَ يَا شَهِيداً فِي الْهَوَى مَا أُجْرَا!

رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَى شَيْخِي الْبَصِيرِ

كَانَ لِي فِي حَيْرَتِي نِعَمَ النَّصِيرِ

قَالَ لِي يَوْمًا: أَتَرْضَى أَنْ يَصِيرَ

صَاحِبُ الْغُرِّ الْأَثِيرَاتِ لَدَيْكَ جَاهِلًا بِالْحُبِّ مَقْطُوعَ الْعُرَى؟

قُلْتُ: كَلَّا وَالَّذِي أَوْحَى إِلَيْكَ هُوَ أَدْرَى فِيهِ مِنْ كُلِّ الْوَرَى!

سَيِّدِي، يَا أَطْهَرَ النَّاسِ يَدَيْنِ

وَأَعَفَّ النَّاسِ خَفَاقاً وَعَيْنِ

مِنْ مَعَانِي حَسَنِ، أَوْ مِنْ حُسَيْنِ

مَلَأَ الْحُبُّ تَقِيًّا جَانِحِيكَ لِيُحِبَّ شَرْطًا أَنْ لَا يُؤْسِرَا

إِنَّ نِبْرَاسَ الْهَوَى وَقَفَّ عَلَيْكَ أَنْتَ فِي الْحُبِّ تَرَى مَا لَا نَرَى!

أَيُّهَا السَّاهِدُ قَلْبًا وَحَدَقَ

أَيُّهَا الْعَابِدُ وَقَّى وَصَدَقَ

أَيُّهَا الْوَاصِدُ بَابًا لَا يُدَقُّ

دُونَ أَنْ يَسْتَأْذِنَ السَّاعِي إِلَيْكَ حَذْرًا، أَوْ خَفْرًا، أَوْ بَهْرًا

فَإِذَا قَبَّلَ فِي حُبِّ يَدَيْكَ فَكَأَنَّ قَبْلَ كَفِّي حَيْدَرًا!

أَنْتَ يَا شَبَّهَ عَلِيٍّ فِي الْمَهَادِّ
فِي تَقْوَاهُ، وَإِبَاهُ، وَالْجِهَادِ
وَالَّذِي عَوَّدَ عَيْنَيْكَ السُّهَادِ

إِنَّ مِنْ هَيْبَتِهِ فِي وَقْفَتَيْكَ خَاشِعاً لِلَّهِ أَوْ مُنْتَصِراً
صُورَةً تُسَبِّحُ مَعْنَاهُ عَلَيْكَ سَاجِداً فِي دَمِهِ مُدَثِّراً!

هَكَذَا جَدُّكَ فِي أَيَّامِهِ
تَسَطَّعُ الشَّمْسُ عَلَى أَعْلَامِهِ
وَذُرّاً مَعْنَاهُ فِي إِسْلَامِهِ

وَبِمَعْنَاهُ قَرَأْنَا صَفْحَتَيْكَ فَرَأَيْنَاكَ بِهِ مُؤْتَزِراً
حَامِلاً آيَتَهُ فِي أَصْغَرِيكَ قَلْبَ لَيْثٍ وَلِسَاناً أَجْهَراً!

يَا كَبِيرًا فِي التُّقَى وَالغَزَلِ

يَا نَجِيَّ اللَّهِ مُنْذُ الْأَزَلِ

يَا بَقَايَا حَسَنٍ بَعْدَ عَلِيٍّ

كُلُّ مَنْ يَصْعَدُ مَرَقَى قَدَمَيْكَ حَامِلًا ضَوْءَكَ قِنْدِيلَ سُرَى

فَلَقَدْ أَنْبَتَ إِحْدَى حُسْنَيْيَكَ وَهَجَأَ فِي قَلْبِهِ أَوْ مَطَرًا!

سَيِّدِي، يَا سَيِّدَ الدُّنْيَا جَمِيعَا

يَا خَضِيبَ القَلْبِ دَمْعًا وَنَجِيعَا

أَيُّهَا الرَّأكِعُ لِلَّهِ صَـرِيعَا

أَنَا إِذْ أَطْرُقُ بِأَبِي مَحَبِّسَيْكَ مَحَبِّسَ العِلْمِ، وَحَبَّسًا أَخْطَرَا

هُوَ حَبَّسُ الرُّوحِ فِي اللَّهِ لَدَيْكَ هَكَذَا القَدِيسُ يُسْعَى بَشْرًا!

هكذا أنتَ عظيمٌ سيدي
أيدٌ عن أيدٍ عن أيدٍ
أنا إذْ أحملُ طرسِي بيدي

مُنشِداً مسكيتي بينَ يديكَ مثلَ مَنْ يبيضُ تمرًا هَجراً
فلأنني موثِقُ القلبِ لَدَيْكَ فأقْلني عاثراً مُعتذراً!

أيُّها القلبُ الذي لم يجفِ
لسوى الله، ولم يرتجفِ
سيدي، من عمقِ أرضِ النَّجفِ

أرفعُ الصَّوتَ من القلبِ إليكَ آملاً، مُبتَهلاً، مُستغفِراً
فسلامُ اللهِ مَولايَ عَلَيْكَ ما ظلامٌ عن صباحِ أسفِراً!

هوامش: كل ما بين الأقواس تضمنين من موشحات السيد المجاهد
محمد سعيد الحبوبي.

البصير: هو الدكتور محمد مهدي البصير - رحمه الله - وكان أستاذنا
في الأدب في دار المعلمين العالية ببغداد، ورئيس قسم اللغة
العربية فيها، وشاعر ثورة العشرين في العراق.



المحتوى

- يا شيخَ غُرَبَتِنَا ٥
- تنهضُ بينَ الحقائق ١١
- غَرَقُ الطُّوفانِ ٢١
- يا وارِفَ الظلِّ ٣٣
- يا أَيُّها القديسُ يحملُ صمتهُ حملَ الأذانِ! ٤٥
- يا شيخَ شعري ٥٣
- سلامٌ أبا فخري عليك ٦٣
- النَّخْلُ لا تتحني إلا ذوائبه ٧٣
-

- بين يَدَي عبد الرحيم عمر..... ٨٥
- وداعاً أبا سدير..... ١٠١
- أَلقُ الصَّمْت ١١٣
- كالبحر صوتُك..... ١٢٣
- يا شاديَ الأيِّك..... ١٣٧
- هَبها دُعاءك..... ١٤٩
- في رحاب الحسين..... ١٦١
- يا ماليء الدنيا دماً ومروءة..... ١٧٥
- في رحاب النجف الأشرف..... ١٨٧
- يا نَجِيَّ اللهُ!..... ١٩٧
- المحتوى..... ٢٠٨

